رواية

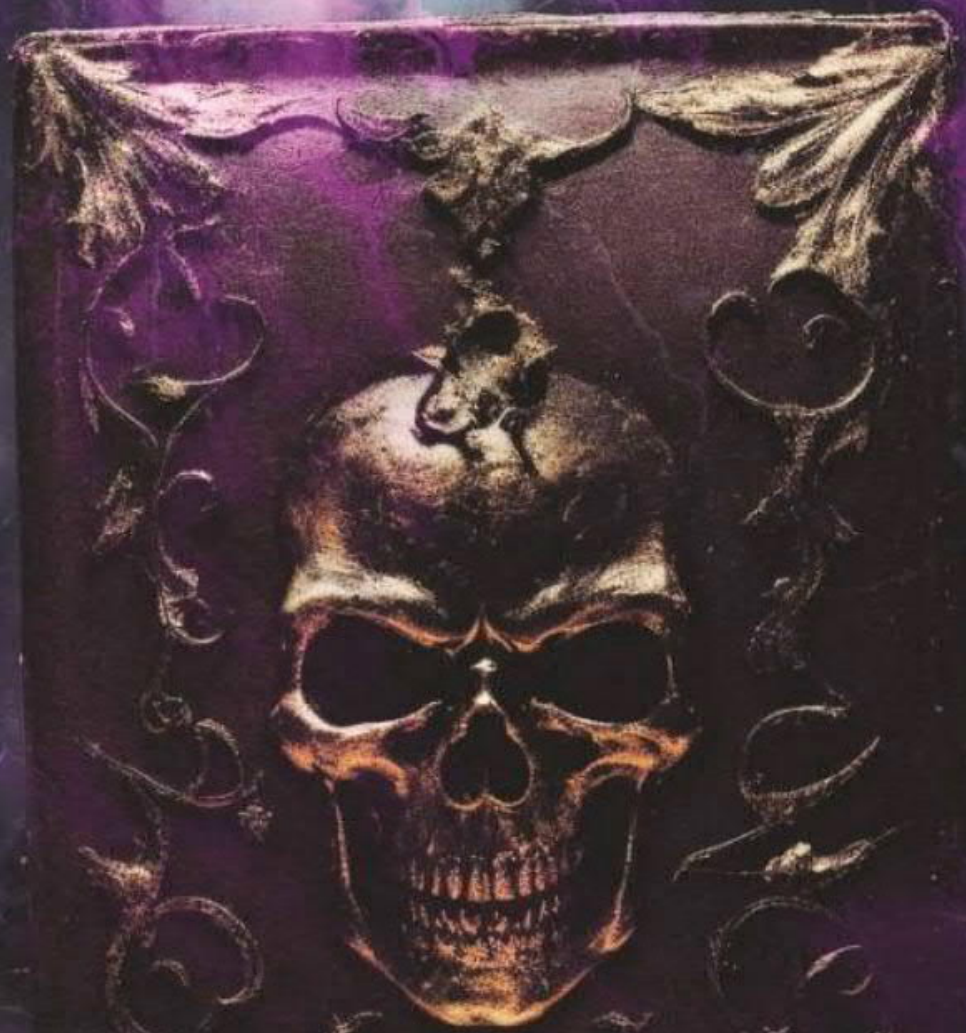

تعويذة محرمة

لعنة كتب الأكاشا

عبدالعزيز السيهاتي

ساحر الكتب

ⓒ مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٥هـ

السيهاتي ، عبد العزيز
تعويذة محرمة " لعنة كتب الأكاشا ". / عبد العزيز السيهاتي -
ط١. .- الدمام ، ١٤٤٥هـ
٢٥٢ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢٠٦١٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٣٧-٤٨-٣

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
aladabce@gmail.com

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

تعويذة محرمة

رواية

لعنة كتب الأكاشا

عبد العزيز السيهاتي

Azizsaihati2018

الطبعة الأولى

1445هـ-2024م

الإهداء

إلى جميع المصابين بالببلومانيا (هوس الكتب)

مصير البشرية الهلاك الحتمي لولا أنهم استطاعوا نقل معارفهم للأجيال التالية

الفصل الأول

(القبض على مايند)

يهرب مايند بين أزقة تلك المدينة، يتنفس بصعوبةٍ وهو يلتفت للوراء بين فينةٍ وأخرى، لا يعلم إن كان الفجر سيحلُّ قريباً أم أن الليل ما زال في أوله. كلُّ ما يعرفه هو أن جسده يكاد ينهار، يده ورجله اليمنى ما زالتا تنزفان،

وشعر بأنه لو خطا خطوةً أخرى فإنه سيفقد وعيه. توقف عند مخرج الزقاق الذي كان يهرول فيه ليلتقط أنفاسه. أسند ظهره إلى الحائط القرميدي الذي خلفه، وكادت دمعةٌ أن تسقط من محجر عينه. ما الذي حدث؟ كيف في لحظةٍ تنقلب حياة المرء من شخصٍ عاديٍّ لا يكاد يذكره أحد، إلى شخصٍ مطلوبٍ بقضيةٍ عقابها الإعدام؟!

شعر بالغثيان وكاد أن يستفرِغ بسبب ركضه طوال هذه الساعات. في الشارع الرئيسي كان هناك على عمود الإنارة القريب منشوراتٌ معلقةٌ للمطلوبين من "منظمة المصدر العالمية". أمعن النظر في المنشورين المعلقين على العمود ليرى في أول صورةٍ رجلاً بشعرٍ فضيٍّ وتحته كُتب: "ميكافيلي (Machiavelli)

مطلوبٌ حيّاً أو ميتاً"، وفي المنشور الثاني صورة فتاةٍ وكُتب تحت المنشور: سبيرت مطلوبة حية فقط". "(Spirit):_

جال في فكره أنه في صباح الغد ستوضع صورته بجانبهما أيضاً. وكل ذلك بسبب شيءٍ لم يرتكبه أصلاً. بدأ يسترجع في عقله ما حدث، ولأول مرةٍ منذ أن خُلق يفكر في شناعة عقوبة حيازة الكتب. فطالما كان يعتبر أنه أمرٌ عاديٌّ، ودائماً ما كان يتردّد على مسامعه أن الكتب ممنوعةٌ منذ 444 سنةً وأن من يُمسك مُتلبّساً بحيازة كتابٍ

فإن مصيره الموت شنقاً في الساحة العامة للمدينة. إلا أنه عندما تمّ اتهامه بتلك الجريمة شعر بالظلم والاجحاف في حق كل من تمّ اتهامه بذلك من قبل. والأشد أنه لم يكن في حوزته أي كتابٍ طوال حياته. بل أنه لم يكن مهتماً بمعرفة أي شيءٍ من خارج نظام "شجرة المعرفة الرقمي" التابع لمنظمة المصدر العالمية.

وصل إلى مسامع مايند صوت أعضاء منظمة المصدر الذين كانوا يطاردونه. ما الذي يمكنه فعله الآن؟ هل يقوم بمواصلة الهرب إلى أن تخونه رجلاه وتتخلى عنه رئتاه؟ أم يقوم بتسليم نفسه لهم ويحاول إقناعهم بأن الكتاب الذي وجدوه بحوزته ليس ملكاً له؟ ربما لو ناقشهم بالمنطق فإنهم سيفهمون اللّبس الذي جرى ويعرفون أنه بريء. فكر بأن الاستسلام سيكون أفضل من أن يقضي حياته هارباً. أسند رأسه للجدار وأخذ نفساً عميقاً وقال:

ـ ربما حان وقت الاستسلام،

إنهم يقتربون ومعهم مخلوقاتهم التي تبدو أليفةً للوهلة الأولى والتي يستعملونها في القبض على الهاربين. كان هناك أربعة أعضاءٍ يقتربون من مايند المُجهَد. وكل واحدٍ فيهم يحمل معه مخلوق الـ "فلافي بافي" الخاص به.

إنّ مخلوق الـ "فلافي بافي" كائنٌ معدّلٌ جينيّاً من قبل منظمة المصدر العالمية. كرويّ الشكل ولا يتعدى طوله الثلاثين سنتيمتراً. يملك ريشاً ليليّاً صغيراً يغطي كل جسده، ذو عينين كبيرتين مقارنةً بحجمه وفمٍ واسعٍ تصطف فيه الطواحن فقط. ولديه قدمان صغيرتان. ويمتلك الفلافي بافي قدرةً على شمّ رائحة الكتب. فعندما

يشمُّ تلك الرائحة فإن لون ريشه يتحول للّون الأحمر وتتحول طواحنه إلى أنيابٍ ويقوم بمهاجمة الكتاب ومن يحمله بشراسة.

صرخ أحد الجنود وهو يشير بالمصباح الضوئي الذي يحمله ناحية مايند:

_ لقد وجدته.

في تلك اللحظة وكأن رجليه قد قررتا صفع فكرة الاستسلام عرض الحائط. اندفعتا باتجاه الشارع الرئيسي وخرج من الزقاق بدون وعيٍ منه. كانت غريزة النجاة هي من تحركه. تعثر في منتصف الطريق وسقط أرضاً، حاول النهوض إلا أن أحد مخلوقات الفلافي بافي قد لحق به وغرس أنيابه في كتف مايند. ربما هذه هي النهاية، نهاية حياته التي كان يظن أنها ستكون عادية، فهو منذ الصغر لا يحب البروز ويمشي بالقوانين المرسومة له من قبل الآخرين والمجتمع. اعتقد أنه بذلك سيعيش حياةً مبهجةً بعيداً عن كل المشكلات. إلا أن القدر له رأيٌ آخر، فقد أوقعه في مشكلةٍ لم تكن تخطر على باله أبداً. ارتفعت نبضات قلبه وكأن كلّ الأدرينالين الذي في العالم يسري في عروقه.

: "لن أستسلم"، تلك الكلمات التي تردّد صداها في عقله، رفع نفسه بكلتا يديه وما يزال الفلافي بافي غارساً أنيابه في كتفه. وما أن خطا خطوةً واحدةً حتى شعر بثقل الهراوة التي أنزلها أحد أعضاء منظمة المصدر على رأسه. سقط هذه المرة وهو متيقنٌ بأنه لن يمكنه النهوض فالدنيا تدور وأصبحت رؤيته مشوشة. "انتهى كل شيءٍ": قالها في عقله ثم تجمعت العديد من اللحظات التي عاشها كفيلمٍ

سنيمائيّ أمام عينيه. نظر لتلك اللحظات الرتيبة نظرة تعجُّبٍ: "لماذا لم أُبادِر بشيءٍ؟ لمَ لم أحاول أن أكون متميزاً أبداً؟" تلك الأفكار التي جالت في وعيه، هل ستنتهي حياته دون أن يترك أيّ أثرٍ يذكر في هذه الدنيا؟ شعر بأن حياته التافهة ليست سوى إضافةٍ غير مرغوبةٍ في هذا العالم. ربما لو أن الحياة أعطته فرصةً أخرى فإنه سيقوم بتغيير طريقة عيشه.

وصل أعضاء المنظمة الأربعة عند مايند الذي يكاد أن يفقد وعيه، لجرّه وإيداعه في السجن بانتظار محاكمته. لاحظوا أن حيواناتهم الأليفة قد تحولت جميعها للون الأحمر وهم ينظرون بشراسةٍ ناحية أحد الأزقة المتصلة بالشارع الرئيسي. لاح لهم شبح ظلٍّ يتقدم نحوهم من ذلك الزقاق، وسرعان ما تعرفوا على وجه الفتاة التي خرجت، وألقى ضوء عمود الإنارة أشعّته على وجهها. إنها إحدى المطلوبين لمنظمة المصدر العالمية. كانت فتاةً قصيرةً ذات شعرٍ طويلٍ بُنيّ يصل إلى أسفل ظهرها، إلّا أنها تفضّل ربطه بشكل كعكة. تمتلك عينين بنيّتين ضيقتين وتنتهيان بخطٍّ دقيقٍ من الكحل الذي تضعه دائماً عندما تكون في مزاجٍ جيد. أنفها الصغير يتناسب مع حجم وجهها، لديها ابتسامةً مضيئةً كالنجم، ولها وجنتان تزيدان القمر نوراً. وتحمل في يدها كتاباً كتب على وجهه "ملحمة جلجامش"* (هامش: ملحمة جلجامش هي أول ملحمةٍ شعريةٍ مكتوبةٍ في التاريخ البشري، تدور قصتها عن ملك الوركاء جلجامش).

ارتعد الأربعة فور تعرفهم عليها، إنها المطلوبة "سبيرت" وهم يعرفون جيداً أنهم ليسوا أنداداً لها. فتحت الكتاب الذي في يدها

وقالت:

_ اخرج يا أنكيدو! (هامش: أنكيدو هو الشخصية التي كانت تقارع الملك جلجامش في قوته، وأصبح صديقه فيما بعد)

خرج نورٌ ضئيلٌ وتكون في وسط الكتاب بعض الطين الذي بدأ بالتحرك، وسقط عن حافة الكتاب إلى الأرض. تحول ذلك الطين الى رجلٍ بدائيٍ ضخمٍ، شعر رأسه طويلٌ وكثيف. وبإشارةٍ من يد سبيرت هجم أنكيدو على الحراس الأربعة وحيواناتهم. لم تكن لديهم فرصة مواجهة شيءٍ بهذه الضخامة والهمجية، مزق حنجرة أحدهم بأسنانه بينما كان يخنق آخر بيده، لم يستغرِق معه الأمر أكثر من دقيقةٍ نتج عنها ثماني جثثٍ للحراس والفلافي بافي الخاصة بهم. عندها قالت سبيرت:

_ غد يا أنكيدو

تحول أنكيدو مرةً أخرى إلى طينٍ وعاد إلى الكتاب الذي خرج منه فأغلقته. تقدمت نحو مايند لتتفحص إذا ما كان حيّاً، وضعت أصبعيها على رسغه لترى إذا ما زال قلبه ينبض، عندها أمسكها ونظر إلى عينيها وصرخ:

_ لن أستسلم، وغاب عن الوعي من جديد. استدارت سبيرت ناحية الزقاق الذي أتت منه وأشارت لأحدهم، فخرج ثلاثة أشخاص وتقدموا ناحيتها، فقالت:

_ لننقله معنا لمكتبة الأكاشا السحرية، لقد عانى اليوم الكثير وكل ذلك بسببنا، هذا أقلُّ ما يمكننا تقديمه له.

الفصل الثاني

(طرد كونترادیكو)

فتح مايند عينيه بصعوبةٍ فأحسّ بأن رأسه يزن أطناناً، شعر بألمٍ في أنحاء متفرقةٍ من جسده، كانت رؤيته الضبابية تمنعه من معرفة الأشخاص الذين حوله، إلّا أنه عرف أن هناك رجلاً وفتاةً تحمل كتاباً بجواره، رغم أنه لم يستطع تمييز ملامحهما.

_ "لقد وضعتُ له المحلول الطبي وضمدتُ جراحه، سيحتاج إلى الراحة": "قال الرجل مخاطباً الفتاة".

_ "شكرا لك، الآن غُد يا أيها الدكتور توماس لاتا* (هامش: توماس لاتا دكتورٌ إنجليزيٌ كان أول من استخدم المحاليل الطبية بشكلٍ ناجحٍ وفعالٍ حسب مجلة المشرط الطبية)": قالت الفتاة، واختفى ذلك الطبيب من الوجود.

شعر مايند في تلك اللحظة بأنه ما زال يحلم، وأطبقت عيناه بعضهما على بعض من جديدٍ واستغرق في نومٍ عميق. أغلقت عندها الفتاة الكتاب الذي في يدها وخرجت من تلك الغرفة الضيقة الشبيهة بالمخزن. وضعت الكتاب الذي في يدها في الرف المُخصّص له في تلك المكتبة الكبيرة عندما سمعت صوتاً خلفها:

_ لمَ جلبتِ شخصاً غريباً إلى مكتبة الأكاشا السحرية يا سبيرت؟

التفتت سبيرت لصاحب الصوت وقالت:

_ نحن من دمرنا حياة ذلك الرجل، أعتقد أن أقل شيءٍ يمكننا فعله، هو إعطاؤه هويةً جديدةً وإخراجه من المدينة العائمة وجعله يعيش حياته في منطقةٍ نائيةٍ بعيدةٍ عن براثن منظمة المصدر العالمية. أليس كذلك أيها الأمين؟

"الأمين": هو اللقب الذي يُطلق على أمين مكتبة الأكاشا من قبل أفراد جماعة "أبناء الحرية" المناهضة لمنظمة المصدر العالمية، إلّا أنه لا أحد يعرف اسمه الحقيقي أو ماضيه. يعتبر أقدم عضوٍ في جماعة أبناء الحرية وهو القائد الحالي. شخصٌ في مقتبل العمر، متوسط الطول ويملك عينين لامعتين تعبران عن بصيرةٍ وحكمة، شفتاه الدقيقتان دائماً ما تحملان ابتسامةً خفيفةً من الصعب ترجمة معناها، يملك شعراً فضيّاً قصيراً، ودائماً ما يحمل معه كتاباً عنوانه "الأمير"* (هامش: كتاب الأمير للكاتب الإيطالي نيقولو ميكافيلي هو أحد أبرز الأعمال التي كتبها وأشهرها، يحكي مواعظ عن كيف يجب أن يكون الأمير).

صمت الأمين عند سماعة كلمات سبيرت ولم ينطق بأي كلمةٍ، إلّا أن كلّ من يرى نظرته في ذلك الوقت يفهم أنه يريد الإيضاح أكثر، فأتبعت سبيرت تقول:

_ لقد خالف كونترادیكو الأوامر، وأخرج كتاباً بالأمس من المكتبة السحرية، وعندما كان يتجول في شوارع المدينة العائمة صادفه رجال منظمة المصدر العالمية، وشم أحد حيواناتهم رائحة الكتاب، فهرب منهم بدون جدوى، كادوا أن يمسكوا به، وبالمصادفة اصطدم بالرجل الغريب فقام بوضع الكتاب في حقيبته وهرب، عندها لاحق الحراس والفلافي بافي ذلك الرجل، وعند عودة كونترادیكو إلى المكتبة أخبرني بما حدث، فذهبت لمساعدة ذلك المسكين وجلبته إلى هنا.

بصمتٍ مشى الأمين نحو رفوف الكتب بينما كانت سبيرت تراقبه، مشى بأصبعه فوق عددٍ من الكتب يبحث عن ضالته إلى أن وجدها،

أمال بأصبعه السبابة الكتاب وأخرجه من مكانه، وفور رؤية سبيرت للكتاب امتقع لونها:

ـ "ما الذي ستفعله بالكوميديا الإلهية؟* (هامش: الكوميديا الإلهية هي أهم أعمال الشاعر الإيطالي دانتي أليغييري وهو يحكي رحلته خلال الجحيم والمطهر والجنة).

ـ أيها الأمين، ليس من الحكمة إخراج شيءٍ من هذا الكتاب في وسط مكتبة الأكاشا؟" قالت سبيرت بصوتٍ يملؤه الخوف!

رد عليها الأمين بهدوء:

ـ يقول دانتي في كتاب الكوميديا الإلهية: "لقد طردتهم السماء لكي لا ينقص جمالها"، وأنا لن أترك أحداً يُنقِص من جمال مكتبة الأكاشا السحرية. أنا قائد أبناء الحرية ولطالما ظهرت بمظهر الرحمة مع أتباعي، إلّا أنه من الصعب أن يكون الشخص رحيماً ومهيباً في الوقت نفسه! إنّ قضية جماعتنا هي تحرير البشرية من عبودية النظام الذي صنعته منظمة المصدر العالمية، ويبدو أن بعض الأتباع يحتاجون للتذكير بأني يمكنني أن أكون قاسياً.

نظرت سبيرت له نظرةً حادةً وهي تمد ذراعها وتضع يدها على أحد الكتب التي في الرفوف وكأنها تتحدى أمين المكتبة وقالت:

ـ اهدأ أيها الأمين، أنا أعرف جيداً أنك لا تريد أن تصبح المكتبة ساحة حربٍ، يمكنك عقاب كونتراديكو وضبطه كي لا يعيد أخطاءَه مجدداً.

تنهد الأمين وهو يعيد كتاب "الكوميديا الإلهية" إلى الرف وقال:

_ لا يعيد أخطاءه مجدداً؟ ما زلتِ يافعةً يا سبيرت! هل تعتقدين أني سأعاقب شخصاً ومن ثم سأجعله بعدها في صفي من جديدٍ؟ تلك حماقةٌ! إذا ما عاقبتَ شخصاً فذلك يعني أنك تتخلى عنه، فلا يمكنك ضمان ولائه بعدها. يجب أن تعاقبَ شخصاً ليخاف البقية لا لتخويفه هو. هذا ما يجب أن يفعله القائد الناجح.

لقد انضمت لهم سبيرت منذ سنتين، لذا فإن أمين المكتبة بات يعرف ما يحرك تلك الفتاة، شيئان فقط، وهما المعرفة والحب. هي شخص شغوفٌ بالمعرفة منذ أن عرفت أن هناك الكثير لتتعلمه خارج نظام شجرة المعرفة الرقمي. والشيء الآخر هي تؤمن بأنه يمكن للحب صنع المستحيل. لو أنها كانت فتاةً عاديةً لما رغب الأمين في ضمها إلى جماعته فهي تمثل الأشياء التي يرفضها رفضاً تامّاً، فهو يؤمن بأن الحب زائفٌ وأن البشر سينقلبون عليك فور اختلاف مصلحتهم معكَ، ولكنْ هناك شيءٌ آخر يميز سبيرت، وهو أنها حاملة الكتب الوحيدة التي يمتلكها في فريقه.

حملة الكتب هم أشخاصٌ يستطيعون إخراج الشخصيات والأدوات والتعويذات وحتى الأجواء العامة من الكتب التي يقرؤونها. لطالما كان الأمين هو حامل الكتب الوحيد في جماعته، إلّا أنه عند انضمام سبيرت لهم شعر بأنه يمكنه أخيراً الانتصار في معركته ضد منظمة المصدر العالمية.

فكر الأمين قليلاً ثم سحب كتاباً آخر، ليس لأنه اقتنع بكلامها، إلّا أنه لا يريد أي تصادمٍ يقودها للرحيل من جماعة أبناء الحرية، وقال لها:

ـ على كل حالٍ، أعلم كم أنتِ عنيدةٌ ولا يوجد ما أقوله لتغيير رأيك، إلّا أني لن أقبل بوجود شخصٍ يخالف الأوامر، لن أعاقبه، لكني سأنفيه من أبناء الحرية.

ـ "ما الذي ستفعله؟": قالت سبيرت بأسلوبٍ يدل على قوة شخصيتها.

رفع الأمين الكتاب الذي في يده ليريها العنوان، ثم أعطى ظهره لسبيرت وهو يغادر وقال:

ـ لا أعتقد أنكِ قرأتِ هذه السلسة الخيالية، فيها تعويذةٌ اسمها "أوبليفييت"، يمكنها محو الذاكرة، سأخرج التعويذة من الكتاب وألقيها على كونترادیكو وألقي به خارج المكتبة، فلم يعد مفيداً لي.

وقبل أن يفتح الباب للخروج من المكتبة التفت لها وقال:

ـ وفور أن يستيقظ ذلك الشخص سألقي عليه التعويذة نفسها، نحن نستعد لهجومنا قريباً ولا أريد لشيءٍ أن يسير عكس ما خططت، لقد حانت ساعة تحرير البشر.

الفصل الثالث

(ضوء الكتب)

تجلس سبيرت على ذلك المقعد الصغير أمام السرير الذي يستلقي فيه مايند، تحمل في يدها كتاب ذات الجناحين القرمزيين* (هامش: كتاب ذات الجناحين القرمزيين هو رواية فانتازيا للكاتب عبد العزيز السيهاتي، تناقش اختلاف روزا عن محيطها في الجزر السماوية).

لا تعلم لمَ تحب هذه الرواية! ربما لأن الرواية تُريها الجانب الآخر من الحياة، فطالما كانت سبيرت مميزةً بعكس الشخصية الرئيسة في رواية ذات الجناحين القرمزيين التي عاشت حياةً مليئةً بالظلم والعنصرية. رفعت سبيرت بصرها عن الكتاب وبدأت تنظر إلى مايند، تفحصت بنظرها سمار بشرته ولحيته المبعثرة وكتفيه العريضين، خطرَ في بالها كيف انتهى بهما المطاف في هذا المكان معاً، كيف أن قراراتٍ صغيرةً في حياتنا قد تقلِب حياتنا رأساً على عقب. غاصت في عقلها تفكر في هذا الأمر إلى أن انتبهت لشيءٍ مهمٍ، هو أنها هنا بسبب خياراتها ورغبتها بالوجود، أما هو فموجودٌ هنا لأن القدر قد أجبره على الوجود، وهي مُتيقِّنةٌ لو أن الخيار أتيح له لما جاء إلى هُنا أبداً وأصبح مطلوباً لمنظمة المصدر العالمية. "لحظة! هل يعني هذا أن قراراتنا غير مهمةٍ عندما يريد القدر فعل شيءٍ معنا؟ هل نحن لعبة في يد القدر يحركنا كما يشاء؟ إذا كان القدر فعلاً أقوى من قراراتنا فهل نحن أحرارٌ حقّاً؟ إذاً لماذا نحارب .....؟"

انقطع تفكيرها بعد أن رأت مايند يفتح عينيه من جديدٍ بعد أن قضى 16 ساعةً نائماً. لبضع ثوانٍ كان يحدق في السقف ويشعر بارتباكٍ، من أنا؟ أين أنا؟ عندما أفاقه بالكامل صوت سبيرت ولفت انتباهه:

_ لقد استيقظت أخيراً

أدار مايند رأسه لناحية الصوت ليراها جالسةً على الكرسي القريب منه، وتحمل في يدها كتاباً. تدفقت الذكريات في رأسه من جديدٍ وحاول أن ينهض من السرير فزعاً إلّا أن الألم الذي شعر به منعه من النهوض، حاولت الفتاة تهدئته وطمأنته وهي تضع يدها على يده بلطفٍ:

_ أنت في أمانٍ هنا من حراس منظمة المصدر العالمية، لا تخف، لن يستطيع أحدٌ أذيتك.

رغم أن مايند لم يشعر بالأمان إلّا أن الألم الذي شعر به جراء محاولته النهوض أجبره على الاستلقاء مجدداً وهو يحدق في وجه سبيرت بقلقٍ ممزوجٍ بالحيرة. أغلقت سبيرت الكتاب ووضعته على السرير بجانب مايند، ثم أمسكت يده بكلتا يديها وقالت:

_ "أعلم أنك في قمة الارتباك الآن، سأخبرك بما حدث لا تقلق أنت في أمان. اسمي سبيرت، ربما رأيت صورتي معلقةً في جميع أنحاء المدينة العائمة لأني مطلوبةٌ لمنظمة المصدر، ربما تعرفني بأني أنتمي إلى المخربين كما يحبون أن يطلقوا علينا، إلّا أن لجماعتنا اسماً وهو "أبناء الحرية"، ضغطت على يده أكثر وأكملت:
_ "أنا متأسفةٌ لأنهم اشتبهوا بك، وبأنك أحدنا بسبب كتاب، لا تقلق، سنخرجك إلى إحدى المناطق الأخرى ونعطيك هويةً جديدةً ويمكنك مواصلة حياتك هناك بسلامٍ".

لم يعلم مايند ماذا يقول، يشعر بأن كل شيءٍ مبهمٌ، ما الذي سيحل به الآن؟ هل يترك كل شيءٍ وينصاع لكلام هذه الفتاة الغريبة عنه، ويذهب للعيش في مكانٍ مجهولٍ؟ لا، لقد أخبر نفسه بأنه لن

يستسلم، ربما عليه أن يقاتل، فالتفت لسبيرت وقال:

ـ لن أذهب إلى أي مكانٍ، أنا واثقٌ بأني لو تحدثت مع أعضاء منظمة المصدر العالمية فإني سأستطيع إثبات براءتي، وأن الكتاب الذي وجدوه معي لم يكن لي، فأنا لم أرَ كتاباً من قبل سوى في تحذيرات النظام الإلكتروني، ولم آخذ معلومةً من خارج شجرة المعرفة، لقد كنت مواطناً مثالياً

نظرت سبيرت له لبضع ثوانٍ ثم قالت:

ـ لو أني سألتك ما هي منظمة المصدر العالمية؟ لأجبتني بأنها المنظمة التي جلبت السلام والازدهار للعالم، وأنها المنظمة الأكثر تسامحاً في هذا العالم، وكل أفعالها مبررة. لا ألومك لو أنك قلت هذا الشيء، فهذا ما ستجده في نظام شجرة المعرفة الرقمي. إلّا أن منظمة المصدر هي أعمق من ذلك، ولها جوانب متعددة. إنّ منظمة المصدر العالمية هي منظمةٌ نشأت قبل 450 سنةً، وتهدف إلى حماية الأفراد من المعلومات الزائفة، وتُقنّن المعارف المتاحة، حيث يؤمن مؤسسو هذه الحركة بأن البشر أصبحوا في خطرٍ بسبب المعلومات الكثيرة المتاحة لهم، وأصبحوا يعيشون في زمنٍ أصبحت فيه الحقائق بالأدلة والشائعات المزيفة على قدرٍ من التساوي. كان الناس مختلفين في آرائهم في أبسط الأمور والحقائق تزيّف بطريقةٍ سفسطائية. لذا، وجب على مؤسّسي المنظمة اتخاذ تدابير صارمةٍ لحل معضلة الخلاف الأبدي بين الناس، وكانت ثمرة تلك التدابير الأولى هي: نظام "شجرة المعرفة الرقمي"، وهو نظامٌ إلكترونيٌ يحتوي على جميع المعارف المتاحة وغير القابلة للشك. إلّا أن الأمر باء بالفشل في بداية الأمر، فما زال هناك مصادر أخرى يطّلع

عليها الناس. عندها بدأ المؤسسون بالطور الثاني من التدابير وهو إيقاف أي مصدر معلومات آخر. عندها بدأت موجة إحراق الكتب من الأشخاص المؤيدين للفكرة. رغم ذلك لم يكن لهم فرصةً كبيرةً في هيمنة الفكر الخاص بهم، إلّا أن بعض الأشخاص الذين يعملون وراء الظلال قد أعجبتهم الفكرة وتبنوها لمصالحهم الشخصية. وذلك قام بمساعدتهم لقمع أي أفكارٍ غير مرغوبةٍ من قبل المنظمة. وبعد عدة سنين أصبحت المنظمة هي العجلة التي يدور العالم في رحاها وأصبحت متشعّبةً في كل القطاعات، في السلك العسكري وفي التعليم والصحة والإعلام وكل مكونات المجتمع الحساسة، فما أن تضعك تلك المنظمة نصب أعينها حتى تنتهي حياتك بالمعنى الحرفيّ أو المجازيّ للكلمة، رغم أنهم جلبوا السلام إلى هذا العالم، وهذه حقيقةً إلّا أنهم سلبوا حرية الفرد وأصبحنا نسخاً مكررةً بعضنا عن بعض.

هل تعتقد أنهم جلبوا السلام إلى هذا العالم لمصلحة البشرية؟ ربما هذا كان هدف المؤسسين إلّا أن الداعمين لهم كانت لهم مآرب أخرى، حيث تسهل السيطرة على أي جماعةٍ عندما تمنعهم من التفكير والتخيّل، وتحدد لهم ما هو مسموحٌ بمعرفته وما هو ممنوع.

كانت المعلومات التي قالتها سبيرت كثيرةً وغير منطقيةٍ بالنسبة لمايند، ربما قالت ذلك لتشوش على تفكيره وتجعله ينضمّ لهم، إلّا أن جملةً قالتها شدت انتباهه وهي: (ما أن تضعك تلك المنظمة نصب أعينها حتى تنتهي حياتك بالمعنى الحرفيّ أو المجازيّ للكلمة). أخذ يفكر في هذه الجملة، فعلاً لم يرَ في يومٍ أن هناك من تمّ الإمساك به من قِبل المنظمة وثبتَت براءته، شعر مايند بأنه محاصرٌ، فكلما غاص

بتفكيره أكثر شعر بأن فكرة إثبات براءته أصبحت مستحيلةً، ولو أنه حاول اتباعها فقد تودي بحياته.

رأت سبيرت الحيرة في عيني مايند العسليتين، فأخذت الرواية التي وضعتها وعرضت على مايند قراءتها لتصفية ذهنه، إلّا أن مايند سحب يده بسرعةٍ وخوفٍ من إمساك الكتاب. ابتسمت سبيرت وقالت:

_ لا يوجد ما يخيف في الكتب، إنها توسع مداركك فقط، على كل حالٍ لن أُجبرك على قراءته، ثم وضعته بجانبه واتجهت للخروج، وقبل أن تخرج استدارت وسألته:

_ أوه نسيت، ما هو اسمك؟

أجاب:

_ "مايند"

أومأت برأسها وقالت:

_ خذ قسطاً من الراحة يا مايند. ثم خرجت.

حدق مايند بالكتاب الذي وضعته بجانبه طويلاً وقلبه يدق باضطراب، شعر بأنه وحيدٌ مع أكثر شيءٍ يسبب رعباً في هذا العالم، إلّا أن عقله بدأ بالتساؤل: ما هو المخيف حقّاً في كومةٍ من الأوراق؟ بما أنه لم يغد مواطناً في هذا العالم وأصبح مطلوباً فما الذي يمنعه من أن يروي فضوله ويعرف بنفسه لمَ تمّ منع الكتب؟ وما الذي تحتويه من معلوماتٍ؟ مد يده ورفع الكتاب، شعر بثقله في يده، لم يعتقد يوماً أن للكتاب وزناً كهذا، اعتقد أنه أخف وزناً! بدأ بتقليب

صفحاته وهو يشعر بملمس الورق الخشن على أطراف أصابعه، عبقت رائحة الكتاب الخشبية في أنفه: "إذاً للكتب رائحةٌ أيضاً"! أحس بالدهشة في كل خطوةٍ يقوم بها وكأنه طفلٌ صغيرٌ، أُضيءَ الكتاب بنورٍ خافتٍ عندما فتح الفصل الأول، فاستنتج أن الكتب تضيء رغم أنه لم يعرف كيف يَخرج الضوء من الكتاب! لم يعلم في ذلك الوقت بأن الكتب بطبيعتها لا تضيء، إلّا أنها أول تجربةٍ له مع الكتاب واعتقد أنه شيءٌ اعتياديٌ، فتح الفصل الأول وبدأ يقرأ:

"في عالمٍ خياليٍ حيث المدن تطفو فوق سطح الغيوم، وفي إحدى الجزر العديدة المتناثرة في هذا العالم، هناك قريةٌ صغيرةٌ تسمى بـ "أوميجا"، في مقبرة تلك القرية تقف "روزا" ذات السبعةَ عشرَ ربيعاً وحيدةً أمام قبر والدتها....." (هامش: مقدمة رواية ذات الجناحين القرمزيين)

انغمس مايند بالقراءة بدون أن يشعر، يلتهم الصفحة وراء الأخرى وأطلق لخياله العنان يتصور ما يحدث في الرواية في ذهنه.

أمّا في الخارج،

فقد جلست سبيرت بعد أن أخذت رواية بلد العميان* (هامش: رواية بلد العميان للكاتب هربرت ويلز، تدور حول قريةٍ جميع أفرادها مصابون بالعمى وأتاهم شخص مبصرٌ فأقنعوه بأن العمى أفضل له من البصر) من رف الكتب.

رغم قصر الرواية إلّا أنها لم تستطع قراءتها، ففي عقلها ما زال السؤال الذي خطر لها يجول بين أروقة أفكارها: هل قراراتنا تحدّد مصيرنا؟ مضى الوقت وهي سارحةٌ في أفكارها حتى دخل الأمين

إلى المكتبة ورآها جالسةً فسألها:

_ هل استيقظ؟

عادت سبيرت من دوامة أفكارها وقالت:

_ نعم إنه في الداخل

فتح الأمين كتاب السحر الذي في يده والذي يحوي تعويذة فقدان الذاكرة، وهمّ بالدخول إلّا أن سبيرت قالت:

_ أليس هناك حلٌّ آخر؟

_ "لا نستطيع أن نتركه يخرج وهو يملك معلوماتٍ عنّا وعن مكتبة الأكاشا السحرية": أجاب الأمين.

قامت سبيرت لترى ما سيحصل وكيف سيكون تأثير تعويذة الكتاب على مايند، وعندما فتحا الباب صُدِم الاثنان عند رؤيتهما الكتاب في يد مايند وهو يضيء! لم يُدرك مايند أن هناك أحداً قد دخل الغرفة فقد كان ما يزال مندمجاً بالقراءة. لم يتكلم أيٌّ منهما من تلك المفاجأة، اقترب الأمين من سبيرت وهمس في أذنها:

_ هل هو أفلاطونيّ التربية؟* (هامش: في كتاب الجمهورية يقترح أفلاطون وهو فيلسوفٌ يونانيّ، أنه في المدينة الفاضلة يجب على الدولة تربية الصبيان والبنات منذ ولادتهم، حيث يتم تدريسهم لمدة 35 سنةً تتخللها 3 اختباراتٍ وكل اختبارٍ يُحدّد طبقتك في المجتمع من الطبقات الثلاث "عمال – جنود – حكماء").

هناك نظامٌ في العالم، حيث إن العائلات الراغبة تعطي أبناءها وبناتها الحديثي الولادة إلى منظمة المصدر العالمية، ويقومون

بتربيتهم ورعايتهم، حيث يقضون الخمس عشرة سنةً الأولى في تعليمهم العلوم الأساسية، وعندها يتمُّ اختبارهم، مَن لم يتجاوز الاختبار يتمُّ التخلي عنه، ومَن يتجاوز الاختبار ينتقل للمرحلة التالية، وهي خمس عشرة سنةً أخرى من التعليم المكثف وبتركيزٍ على العلوم الأمنية. وهنالك اختبارٌ آخر بعد هذه المرحلة، مَن لم يتجاوزه يصبح عضواً دنيء المستوى من أعضاء منظمة المصدر العالمية، ومَن يتجاوزه ينتقل للمرحلة الأخيرة وهي خمس سنواتٍ من الدراسة المتخصصة في العلوم المحرمة، ومَن لم يتجاوز هذه المرحلة يصبح عضواً رفيع المستوى في المنظمة، ومَن يمكنه تجاوزها يكون من الطبقة العليا ويمكنه الاطلاع على جميع أسرار المنظمة. ويتمُّ تسمية من ينخرطون بهذا النوع من المسار الحياتي في هذا العالم بأفلاطونيّي التربية.

رفعت سبيرت كتفيها في إشارةٍ إلى عدم علمها بإن كان مايند أفلاطونيّ التربية، تعجبت في البدء من سؤال الأمين المفاجئ لها، إلّا أنها سريعاً ما عرفت المغزى من سؤاله، إن كان مايند أفلاطونيّ التربية فقد يكون جاسوساً للمنظمة.

رغم ذلك لم يتمالك الأمين نفسه وقال لمايند بصوتٍ واضح:

ـ هل تعلم بأنك أحد حاملي الكتب؟

رجع عندها مايند للواقع ونظر للأمين نظرةً مفادها: "لم أفهم شيئاً مما تقول"!

بدأ الأمين بشرح قصده بأنه أحد حاملي الكتب، وأخبره بأن حاملي الكتب يمكنهم إخراج الشخصيات من الكتب، وأن الكتاب لا

يضيء إلّا في حالة أن حامله كان أحدهم.

ما يزال مايند صامتاً وهو ينظر له بتعجبٍ: "هل يعقل أن الكتب ممنوعةٌ لأنها تجعل الناس يصابون بالجنون، كمثل هذا الرجل الذي يريد إخراج بشرٍ من الكتاب؟، من الواضح لي بعد قراءتي لهذا الكتاب أن كل شيءٍ فيه غير حقيقيٍّ وغير منطقيٍّ بتاتاً. فالبشر لا يملكون أجنحةً ولا يعيشون في جُزرٍ في السماء، ربما هذا سبب منع الكتب الحقيقي: أنها تصيب الناس بالجنون".

مدّ أمين المكتبة يده في إشارةٍ منه لأن يعطيه الكتاب، أعطاه الكتاب وهو ما يزال مذهولاً مما قاله، فكيف له التصديق بشيءٍ كهذا؟ عندها فتح الأمين إحدى الصفحات وقال:

ـ اخرجي يا روزا

أضاء الكتاب وخرجت ريشةٌ قرمزيةٌ ثم تبعها العديد من الريشات تتدفق من الكتاب، امتلك الخوف مايند فأمسك بالسرير بكلتا يديه بقوةٍ، إلى أن تساقطت كل الريشات وكشفت عن روزا، وهي فتاةٌ بجناحين وشعرٍ قرمزية.

ـ "هل صدقتني الآن؟": قال الأمين

لم يستطع مايند الإجابة فقد كان الارتباك والتعجب يسيطران على عقله. عادت روزا لداخل الكتاب بعد أن أمرها الأمين بذلك، والتفت إلى سبيرت وبريقٌ يلمع في عينيه ثم قال:

ـ يبدو أن القدر في جانبنا، سنضمُّ هذا الشخص لنا ويصبح في أبناء الحرية ثلاثة حاملي كتب.

الفصل الرابع

(مكتبة الأكاشا)

ينظر لهما مايند وهو يكاد لا يصدق عينيه، كيف لشخصٍ أن يخرج من حبرٍ وورقٍ؟ هذا ينافي كل ما تعلمه طوال حياته، ويخترق كل قوانين الطبيعة التي يعرفها! لكن كأي شخصٍ عقلانيٍّ لم يستطع مايند تجاهلَ ما حدث وأراد اكتشاف الطريقة التي يتحايلان بها عليه.

التفت لسبيرت وقال:

_ أخرجي شخصيةً أُخرى من الكتاب الذي في يدك.

نظرت سبيرت للأمين وكأنها تقول: "يبدو أنه ما يزال يكذِّبنا" ثم أردفت بكلماتها: "لم أنتهِ من قراءة الكتاب الذي في يدي بعد"، عندها شرع الأمين في التحدث:

_ هناك شروطٌ لتتمكن من التحكم بما في داخل الكتب، وأحد هذه الشروط هو أن تُنهي قراءة الكتاب بالكامل، وبما أن سبيرت لم تُنهِ قراءة الكتاب بعد فلا يمكنها إخراج ما في داخله.

_ "كم أنّ ذلك سخيفٌ! بالطبع ستقول بأن هناك شروطاً، تريد أن تُقنعني بأن هناك شروطاً لخدعتك؟ وفي الواقع فإن ما فعلته هي خدعةٌ تم تجهيزها من قَبل، وعندما طلبت منكما فعلها تحججتما بأن هناك شروطاً! هل تعتقدان أني غبيٌ لهذه الدرجة؟": قالها مايند وهو منفعلٌ وغاضبٌ لاعتقاده أنهما يحاولان خداعه.

شعرت سبيرت بحيرته وعجزه عن تصديق كلامهما، لقد كانت في مكانه في أحد الأيام، حيث إنها عاشت سنينَ طويلةً تصدق ما تعلمته من نظام شجرة المعرفة الرقمي فقط، وظنّت أن كل ما عدا ذلك هو كذبٌ وافتراء. اقتربت منه وساعدته على النهوض وقالت:

ـ سيكون من الصعب أن نشرح لك، لكن يمكنك رؤية كل شيءٍ بعينيك، تعال معنا.

نهض مايند من السرير وهو متكئٌ على سبيرت، إلى أن خرج من الغرفة الصغيرة التي كان فيها إلى مكتبة الأكاشا السحرية. كانت قاعة المكتبة دائرية الشكل ومحاطةً جدرانها برفوفٍ خشبيةٍ تمتلئ بالكتب، رائحة الكتب القديمة تعبق في الأجواء، وهي رائحةٌ جديدةٌ على أنف مايند، إلّا أنها كانت شيئاً مميزاً لـ سبيرت والأمين، فتلك رائحة آلاف العوالم التي عاشاها لمئات الساعات بين طيات الصفحات، رائحة المشاعر التي تعيشها شخصيات الكتب، رائحة الأفكار والعلوم التي تحملها، والأهم، أنهما كانا يعتبرانها رائحة الحرية الفكرية. يوجد في الطرف الأيمن منها سلمٌ لولبيٌ يؤدي للطابق الثاني، الذي يشابه الطابق الأول كثيراً، يتوسط كلا الطابقين مقعدٌ دائريٌ كبيرٌ ذو جلدٍ أبيض مجوفٌ من الوسط، وفي ذلك الوسط المجوف توجد نافورةٌ في وسطها تمثالٌ رخاميٌ عملاقٌ لبروميثيوس* (هامش: بروميثيوس هو عملاقٌ حارب في صف آلهة الأوليمب ضد العمالقة، وهو محبٌبٌ للبشر في الأساطير الإغريقية، من أهم الأشياء التي صنعها أنه جلب النار من قبس الأوليمب، وأعطاها للبشر لتحميهم من برد الشتاء القارس: "شعلة المعرفة لحمايتهم من الجهل") وهو يحمل شعلة العلم والمعرفة في يده، أما في الطابق الثاني فإن التمثال يختلف، فتجد تمثالاً رخامياً لـ أطلس* (هامش: أطلس هو أحد العمالقة في الأساطير الإغريقية، وقاد الحرب ضد زيوس إلّا أنه هُزم وكان عقابه أن يحمل الكرة الأرضية على كتفيه) وهو يحمل الكرة الأرضية على كتفيه. أجلست

سبيرت مايند على المقعد الدائري الكبير واتجهت إلى أحد الرفوف وسحبت رواية دراكولا، فتحت الكتاب الذي أضاء فور فتحها له. وقالت:

_ اخرج أيها الكونت دراكولا

فارت دماءٌ من داخل الكتاب وسط ذهول مايند، وشكبت الدماء على الأرض وتجمعت الى أن خرج منها شخصٌ شاحب البشرة ذو أنيابٍ طويلةٍ وشعرٍ أسود فاحمٍ.

_ "كيف يمكنكم فعل هذه الخدعة؟": سأل مايند بعدم تصديقٍ!

أجاب الأمين بصوتٍ هادئ:

_ ليست خدعةً، ستتمكن من فعل ذلك أيضاً، فأنت حاملٌ للكتب.

_ أعطني الكتاب إذاً، سأقوم بإخراج أحدهم إذا كنتَ صادقاً

تنهد الأمين وقال:

_ هل انتهيت من قراءة الكتاب؟ لا أعتقد ذلك فعند دخولنا لك كنت ما زلت تقرأ. لا نعلم لماذا، لكن هناك شرطاً بأن تنهي قراءة الكتاب إذا أردت إخراج شيءٍ منه.

قاطع مايند كلام الأمين وقال بنوعٍ من الغضب:

_ إذاً أعطني الكتاب سأقرؤه وأثبت أنكما تكذبان.

أعادت سبيرت الكونت دراكولا إلى داخل الكتاب، ثم أخذت رواية "ذات الجناحين القرمزيين" من يد الأمين، وجلست بجانب مايند وناولته الكتاب. أخذ مايند ينظر لغلاف الكتاب طويلاً وهو

يفكر: ماذا لو أنه مُخطئٌ وهما مصيبان في ما يقولانه؟ ليس هناك طريقةٌ للتحقق سوى مواصلة القراءة للنهاية وحسم الأمر بنفسه. فتح الرواية إلى الصفحة التي وصل إليها وتابع القراءة. تنظر له سبيرت بصبرٍ وهي ترى تعابير وجهه المختلفة مع أحداث الرواية، بينما كان أمين المكتبة ينظر له بين الفينة والأخرى ويعود للغرق في أفكاره، فوجود حامل كتبٍ آخر في جماعتهم يقلب موازين الكفّة ويجعله يعيد حساباته من جديدٍ بشأن الطريقة التي سيدمر بها منظمة المصدر العالمية. بعد مضي ما يقارب الساعة أنهى مايند قراءة الرواية وقد اجتاحته مشاعر متضاربة، شعر بأنه قد عاش مع شخصيات الرواية وتابع معهم لحظات الضعف والقوة، مع أنه يعرف تماماً أنها شخصياتٌ خياليةٌ إلّا أنهم استطاعوا ترك أثرٍ في قلبه، لكنه ليس الوقت المناسب ليخوض معركةً مع المشاعر التي اجتاحته، فهو الآن في مهمةٍ لتفنيد الكذب الذي يتفوه به هذان الشخصان. فتح الكتاب من المنتصف وهمّ بمحاكاة الفعل الذي رآه من سبيرت والأمين لإخراج الشخصيات، وقبل أن ينطق أوقفته سبيرت وقالت:

_ لحظة، عندما تُخرج شيئاً من الكتاب، احذر من إغلاقه قبل أن تعيد ما أخرجت إليه.

قال مايند مستفهماً:

_ ما الذي سيحدث لو أغلقت الكتاب؟

_ "لن يمكنك إعادة الشخصية للكتاب، وستملك وعياً بذاتها، عندها لن تطيع أوامرك، والطريقة الوحيدة للتخلص من الشخصية حينها هي إحراق الكتاب": أجابت سبيرت، ثم أتبعت: "اجعل ذهنك صافياً

من أي أفكارٍ، اترك المقاومة وركز وتخيل الشخصية التي تريد إخراجها في ذهنك، وبعدها تأمر الشخصية بالخروج من الكتاب"

دقات قلب مايند تزيد ويداه ترتعدان قليلاً، أخذ نفساً عميقاً وأغمض عينيه وأفرغ عقله من أي فكرةٍ وحاول التركيز في هذه اللحظة، وتخيل شكل روزا كما قرأه في الكتاب، فتح عينيه وبكل قوته صرخ:

_ اخرجي يا روزا

تدفق الريش القرمزي من الكتاب مما سبب ارتباكاً وخوفاً لمايند وكاد أن يُغلق الكتاب، إلّا أنه تمالك نفسه وشدّ قبضته عليه. في تلك اللحظة تكسرت حواجز شفافةٌ كانت في عقل مايند، حواجز بُنيت عبر السنين منذ صغره حتى شكلت هويته الحالية، وقفت روزا على مقربةٍ منه بعد أن هدأ تدفق الريش القرمزي.

_ "هل صدقت الآن؟": قالها الأمين بابتسامة شخصٍ قد انتصر.

لم يُجب مايند، إنما كان يشعر بجسده متشنجاً خوفاً من إغلاق الكتاب وينظر لروزا مذهولاً ويتفحص جناحيها القرمزيين بنظره. وضعت سبيرت يديها على يدي مايند وقالت:

_ يمكنك إرجاعها الآن، ربما تحتاج وقتاً لتستوعب كل ذلك.

بصوتٍ مهزوزٍ أمر روزا بالعودة للرواية، وأعطى الكتاب لسبيرت ويداه ما زالتا ترتجفان، ينظر للخواء ويحاول عقله معالجة ما حصل أمامه الآن، وبعد برهةٍ نطق:

_ ألهذا تم منع الكتب؟ لو أن الكتب انتشرت فستخل بسلام العالم؟

_ "لا، ليس هذا هو السبب": أجاب الأمين، ثم أكمل حديثه بعد أن أخذ نفساً عميقاً لشرح الأمر لمايند: "الكتب بطبيعتها مجرد حبرٍ وورقٍ لا يمكن إخراج شيءٍ منها، لطالما كانت الكتب هكذا في العالم القديم، إلّا أن الكتب في مكتبة الأكاشا السحرية لها خاصيةٌ مميزةٌ وهي إخراج الأشياء منها. ربما تتساءل من أين أتت مكتبة الأكاشا السحرية؟ وكيف تمتلك الكتب فيها تلك الخاصية؟! بصراحةٍ لا أعرف الإجابة، لكن سأخبرك ما أخبرني به القائد السابق لأبناء الحرية، كان يعتقد بأن مكتبة الأكاشا موجودةٌ منذ الأزل، إلّا أنها كانت فارغةً في البدء، تضاف لها الكتب بشكلٍ مبهمٍ لا نعرفه، ففي كل مرةٍ نجد فيها كتباً جديدةً تظهر من العدم، ربما هي الكتب التي كتبها القدماء قبل سنّ قانون منع الكتب، أما لماذا تحتوي الكتب فيها خاصيةً مميزةً فأنا أيضاً لا أعرف، لكن قمنا بعدة تجارب ومحاولة إضافة كتبٍ لها كتبناها بأنفسنا، إلّا أنها تختفي من مكتبة الأكاشا".

أطرق مايند برأسه قليلاً ثم قال بتعجبٍ:

_ وما الذي يدفع البشر في العالم القديم لكتابة الكتب إذاً؟ ما الفائدة من كتابة أشياء غير حقيقيةٍ؟

ابتسمت سبيرت عندها وقالت:

_ ما قرأته للتو تسمى رواية، وهي منظومةٌ فكريةٌ تتيح لك الفرصة لعيش مشاعر مختلفةٍ وتمكنك من إطلاق العنان لخيالك، كما أنها قد تعطيك وجهة نظرٍ مختلفةً في أمورٍ عدة، ليست الرواية هي النوع الوحيد من الكتب عند القدماء، فهناك الكتب العلمية التي ليس بالضرورة أن تكون صحيحةً بالكامل لكنها تعطيك احتمالاتٍ عديدةً

للنظر في موضوعٍ معين.

_ "إذاً ما الذي دفع منظمة المصدر العالمية لمنع الكتب؟": تساءل مايند.

أجاب أمين المكتبة وقد بان على محياه الغضب:

_ للسيطرة، عندما تقنع البشر بأن حقيقتك هي الحقيقة المطلقة سيكون من السهل لك التحكم بمجريات كل شيءٍ في هذا العالم، ولكي تضمن عدم منافستك في السيطرة، لا بد لك من منع البشر من الاطلاع على أي شخصٍ يخالفك الرأي.

كاد مايند أن يفتح فمه ليسأل سؤالاً آخر إلّا أن الأمين قاطعه وقال:

_ أعلم ما ستقول، ما الذي تريده مجموعة أبناء الحرية ولماذا هم مهتمون بنشر الكتب، أليس كذلك؟ الجواب هو الحرية الفكرية، كل ما نريده هو عالمٌ حرٌ حيث يمكن للإنسان مشاركة أفكاره وخيالاته دون أن تطاله يد التنكيل والموت، نريد مكاناً حيث يمكننا اختيار ما نؤمن به، ونشكل فيه هويتنا بتجاربنا الشخصية، ربما لا تدرك ذلك الآن، لكننا في هذا العالم كما القوالب الفارغة تقوم منظمة المصدر العالمية بصبّ ما تريد فيها وتشكلنا كما تريد.

لم يعلم مايند بماذا يجيب الأمين فقد كان الأمر كثيراً عليه، فقامت سبيرت بمساعدته على النهوض وقالت:

_ أعلم أنك متعبٌ الآن، عُد إلى غرفتك واستلقِ، ويمكننا التحدث لاحقاً،

أدخلت سبيرت مايند إلى الغرفة التي استيقظ فيها وعند خروجها وجدت أمين المكتبة يفتح كتاباً بعنوان: "التاريخ الكيميائي لشمعة"* (هامش: هو كتابٌ تعليميٌ من تأليف العالِم الإنجليزي فاراداي لتبسيط الكيمياء والفيزياء) فتح الكتاب وقال:

_ اخرج وتكون في أساسيات بناء مكتبة الأكاشا يا قفص فاراداي* (قفص فارادي هو هيكلٌ يستخدم لعزل الموجات الكهرومغناطيسية والكهربائية، ومكتشفه مايكل فاراداي)

_ "هل تشك بأنه جاسوس لمنظمة المصدر العالمية أيها الأمين؟": سألت سبيرت

_ لا أعلم، لكن الحذر أفضل من الندم، بهذا القفص لن تدخل أو تخرج أي إشارةٍ كهربائيةٍ ولو كان جاسوساً فهو لن يستطيع التواصل مع المنظمة، أعتقد أنكِ تتذكرين عندما أتيتِ لأول مرةٍ إلى أبناء الحرية، قد وضع القفص لمدة شهرٍ إلى أن تيقنت بأنكِ لستِ جاسوسةً لهم، على كل حالٍ سنراقبه وسنرى ما الذي سيفعله، هل سيكون معنا أم لا؟

الفصل الخامس

(اختبار مايند)

يجد مايند نفسه في وسط أدغالٍ كثيفة الأشجار الاستوائية فتصيبه الحيرة والقلق، فهو لا يستطيع تذكر أي شيءٍ قبل أن يجد نفسه هنا، تفحص المكان وهو يحاول العثور على دليلٍ يمكنه من معرفة ما الذي أوصله إلى هذا المكان، كان صوت رفرفة أجنحة طائر البرقوق الأرجوانيّ الحلق* (هامش: طائرٌ يعيش في الغابات الاستوائية، صوته غير معروفٍ إلّا أنه يصدر ضجيجاً بأجنحته) يصدح في أرجاء المكان، إلّا أن أذني مايند قد ميزتا صوتاً بشريّاً خفيضاً يأتي من مكانٍ قريب، تتبع الصوت إلى أن وصل إلى ساحةٍ صغيرةٍ خاليةٍ من الأشجار، اختبأ خلف إحدى الشجيرات ونظر بحذرٍ ليرى الساحة تتوسطها طاولةٌ صغيرةٌ دائرية الشكل وتوجد عليها رقعة شطرنج، وعلى جانبي الطاولة يجلس شيئان متقابلان، اعتقد مايند أن الجالسين على المقاعد بشرٌ للوهلة الأولى، إلّا أنه عندما دقق النظر وجد أنهما عبارةٌ عن دخانٍ، أحدهما أبيض والآخر أسود، متشكلان بهيئةٍ شبه بشرية.

_ "أكثر من أربع مئة سنةٍ من السلام والتطور والازدهار وما زلت تحاول إقناعي بأن نهجك هو أفضل لهم! انظر، لم يتبقّ لك الكثير من الأحجار على رقعة الشطرنج": قال الدخان الأسود مخاطباً الدخان الأبيض.

رفع الدخان الأبيض أحد البيادق عن رقعة الشطرنج وأخذ يتأمله قليلاً ثم قال قبل أن يضعه على الرقعة من جديد:

_ لا تستهن بهم يا زميلي فإنهم سيفاجئونك حتماً، فحتى البيدق قد يتحول إلى وزيرٍ* (هامش: في الشطرنج يمكن للّاعب أن يستبدل بالبيدق الوزيرَ (الملكة) إذا استطاع إيصال بيدقه لخطّ

العدو) إذا سمحت له بذلك.

ثم استدار الدخان الأبيض وقال:

_ وأنت يا مايند، هل ستبقى بيدقاً للأبد؟

استيقظ مايند عندها في الغرفة التي اعتاد النوم فيها في مكتبة الأكاشا السحرية. لم يكن حلماً مزعجاً إلّا أنه أحس بعدم الراحة للغموض الذي كان يكتنف ذلك الحلم، فذلك السؤال كان يتردد في عقله عند استيقاظه: "هل ستبقى بيدقاً؟" جعله يشعر بنوعٍ من عدم الرضا عن نفسه، لقد قرر عدم الاستسلام إلّا أنه قد قضى أسابيع بعد أن أنقذه أبناء الحرية من منظمة المصدر بدون أن يفعل شيئاً يذكر، فكل ما كان يفعله هو قراءة الكتب الموجودة في تلك المكتبة واكتشاف آفاقٍ وأبعادٍ جديدةٍ في الحياة لم يكن يعي بوجودها، رغم أن القراءة جعلته يعيش العديد من الحيوات المختلفة إلّا أنه ما يزال يمقت حياته الخالية من أي هدفٍ، مع أن الأمين حاول في العديد من المرات أن يضم مايند لأبناء الحرية، إلّا أنه يرفض قبول الانضمام لخطورة معارضة منظمة المصدر العالمية.

رفع الكتاب الذي كان على المنضدة بجانبه وأكمل القراءة من حيث توقف قبل أن يغط في نومه، واصل القراءة وهو متشتت الذهن بسبب الحلم إلى أن وصل إلى جملة "وأي لذةٍ تجد في أن تمثل أدواراً ثانوية؟"* (هامش: جملةٌ من رواية مذلون مهانون للكاتب الروسي دوستويفسكي) وقد خاطبت تلك الجملة روحه، فشعر بعمق تلك الجملة في كيانه ونظر لحياته نظرة استحقارٍ في ذلك الوقت، فحياته إلى هذه اللحظة لا ترقى لأن تجعله حتى صاحب

دورٍ ثانويٍّ، إنما مجرد إضافةٍ إلى هذا العالم لا تستحق أن تذكر حتى. ماذا عن قراره بعدم الاستسلام الذي اتخذه عندما هاجمه أعضاء منظمة المصدر وكاد أن يفقده حياته؟ هل كان مجرد تفاهات شخصٍ على مشارف الاحتضار فقط؟ شعر بفورةٍ في جسده وكأنه يطلب منه التحرك، ماذا هناك لينتظره فيقرر تغيير حياته؟ 35 سنةً كانت أكثر من كافيةٍ ليعيشها على هامش الحياة، نهض من السرير وهو يكاد ينفجر من ضغط تلك الأفكار في رأسه، وخرج مسرعاً ليرى الأمين ومعه سبيرت وأشخاصاً عدة يتجمعون في أحد جوانب مكتبة الأكاشا، وخلف الأمين توجد لوحةٌ عليها العديد من الملصقات لأشكال مبانٍ وأسماءٌ عديدةٌ مكتوبةٌ حول تلك الملصقات. لاحظ الأمين بطرف بصره وقوف مايند وعرف فوراً أن هناك شيئاً مختلفاً فيه، فتلك النظرة التي على وجه مايند لم تكن النظرة المرتبكة نفسها التي عهدها من مايند في الأسابيع القليلة المنصرمة، إنما هي نظرة شخصٍ عازمٍ على أمرٍ ما. توقف الأمين عما كان يفعله وأخبر الجميع بأنه سيغيب للحظة، عندها انتبه الجميع إلى وقوف مايند، كادت سبيرت أن تمضي مع الأمين نحو مايند إلّا أنه أشار لها بالبقاء، توقف الأمين بجانب مايند بدون أن ينطق بأي كلمة، إلّا أن نظراته تجعل أي شخصٍ يباشر في الحديث ويفضي بما لديه، قال مايند بصوتٍ تملؤه الجدية:

_ أريد الانضمام لكم.

ينظر له الأمين في صمتٍ مما دفع مايند للتحدث أكثر:

_ لم أعُد أريد البقاء كشخصيةٍ لا ترقى لأن تكون شخصيةً ثانويةً في هذه الحياة، سأكون الشخصية الرئيسة وأثبت للعالم أني لم أعد

هامشاً مُلقىً في زقاق المنسيين، سأكون سيد عالمي وسيد قراري ومصيري، لم يعد من الممكن لي العيش بالطريقة نفسها التي عشتها، ولا أريد أن أكون كـ بيتر بل سأقضي حياتي كـ ريتسر* (هامش: بيتر هو شخصيةٌ ثانويةٌ من رواية ذات الجناحين القرمزيين أما ريتسر فهو إحدى الشخصيات الرئيسة)

ابتسم الأمين لمعرفته بأن مايند سيصل لهذه النتيجة في النهاية، فالحكم على الأشخاص هو إحدى المهارات التي يتميز بها الأمين ماكيفيلي، أو بالأحرى فإن مهارته تكمن بقدرته على توجيه الناس إلى الغاية التي يريد لهم أن يتبنوها، وهذا ما كان يفعله منذ اكتشافه أن مايند هو أحد حملة الكتب.

_ "اتبعني": قال الأمين بهدوء

عاد الأمين ومعه مايند إلى جانب اللوحة، وكانت نظرات سبيرت القلقة مثبتةً على مايند، تريد أن تعرف ما الذي قاله للأمين؟ رغم أنها فضوليةٌ وتريد معرفة كل شيءٍ في هذا الكون، إلّا أن سبب رغبتها في معرفة ما يحدث هو عدم ثقتها بالأمين كليّاً، ليس لأنه فعل شيئاً جعلها تفقد الثقة فيه، إنما شعرت بأنها لا تتوافق مع شخصيته أبداً، خاصةً بعد أن قرأت كتابه المفضل "الأمير" والذي يحمله معه أينما ذهب، وكيف أن أفكار كتابه المفضل لا تتوافق مع أفكارها بتاتاً.

قال الأمين عندها مخاطباً الجميع:

_ أغلبكم لا يعرف هذا الشخص الذي يقف بجانبي، اسمه مايند وهو أحدث عضوٍ في جماعة أبناء الحرية وهو أحد حملة الكتب ....

ارتسمت البسمة على وجوه أعضاء أبناء الحرية وبدؤوا بالتصفيق

والهتافات. إن وجود حامل كتبٍ إضافيٍ معهم سيخفف من صعوبة المهمة التي يوشكون على القيام بها. رفع الأمين يده في إشارةٍ منه بأن يصمتوا ليواصل حديثه:

_ لذا سيتم التعديل على الخطة التي أخبرتكم بها قبل قليلٍ، وسيتم تأجيل تنفيذ الخطة للأسبوع القادم .....

توقف عندها الأمين عن الحديث عندما رأى استهجان الجماعة لفكرة تأجيل المهمة، ثم أتبع كلامه:

_ أعلم بأنكم تخافون أن يفتر حماسكم إذا ما أجلنا خططنا، فأنا أشدكم رغبةً في بدء هذه السلسلة من الأحداث التي ستبدأ بها مهمتنا هذه بعد وقتٍ طويلٍ من الخوف من التحرك ضدهم، إلّا أني متيقنٌ بأن مايند سيحتاج بعض الوقت ليكون مستعدّاً لمهمةٍ كهذه، فنحن لا نريد أن تفشل هذه المهمة بسبب عدم استعداد أحدنا.

عندها نظرت سبيرت للأمين نظرةً حادةً وغير راضيةٍ لفهمها أسلوبه في تحوير اللوم من تأخير المهمة إلى عدم استعداد مايند، بحيث لو أن أي شيءٍ حدث بغير ما هو متوقعٌ، فيصبح من السهل عليه إلقاء اللوم على مايند لتأخيره الجدول المتفق عليه.

أمر الأمين بعدها الجميع بالانصراف، إلّا أن سبيرت بقيت تنتظر الجميع إلى أن غادروا وبعدها اتجهت لمايند وقالت بحيرةٍ:

_ هل استطاع الأمين إقناعك بالانخراط في أنشطة أبناء الحرية؟ لم يكن يبدو عليك الاهتمام بشؤوننا أبداً!

أجاب مايند:

ـ ربما .... لا أعلم حقاً

لم تعجب تلك الإجابة سبيرت، فهي كانت تريد منه أن يعيش في مكانٍ ناءٍ وبعيدٍ عن المشكلات بعد تعافيه، ولم تكن تريده أن يُجرّ إلى صراعاتٍ ليست له علاقة بها.

قالت:

ـ هل اخترت هذا الخيار بإرادتك؟

أجاب بانفعالٍ:

ـ بالتأكيد، هو قراري وبإرادتي.

صمتت عندها سبيرت فقد كانت تعتقد أن سبب انفعاله هو حقده على ما فعلته منظمة المصدر فيه ولأنه أصبح مطلوباً لهم، إلّا أن سبب انفعال مايند الحقيقي هو خوفه من أن قراره ليس بإرادته وأنه سيكون مجرد نكرة مرةً أخرى. ابتسمت سبيرت ابتسامةً خفيفةً واستأذنته وهمت بالمغادرة، إلّا أنها لمحت الأمين ميكافيلي قد اتجه ناحية مايند ومعه سنو وهو أحد أعضاء أبناء الحرية المخلصين، عندها تباطأت في مشيتها وتصنعت انشغالها في البحث عن أحد الكتب من مسافةٍ قريبةٍ منهما لتسترق السمع.

ـ "مايند، إن هذا سنو، سأحتاجك غداً أن تقوم بمهمةٍ عاجلةٍ معه": قال الأمين.

ارتبك عندها مايند، فهو لم يتوقع أن يقوم بمهمةٍ معهم بهذه السرعة، ماذا ستكون المهمة؟ هل ستكون خطيرةً؟ إلّا أنه لملم شتات أفكاره بسرعةٍ وركز على فكرةٍ واحدةٍ تضيء في عقله، ألا وهي:

"سأكون الشخصية الرئيسة في حياتي، وسأترك بصمتي بكل فخرٍ في هذه الحياة"

_ "ما هي المهمة؟": قال مايند بثقةٍ مصطنعة.

_ أريدك أن ترافق سنو في الصباح لاسترجاع كتابٍ مهمٍّ مدفونٍ في أحد الأماكن، وكما تعرف فأنت وأنا وسبيرت الحاملون الوحيدون للكتب. فأبتغي منك الذهاب معه لحمايته في ما لو صادف أحد أتباع منظمة المصدر العالمية.

كاد أن يوافق فوراً لولا أن عينيه التقتا بعيني سبيرت وهي تهز رأسها بالنفي وكأنها تريد منه رفض المهمة. تردد عندها لبضع ثوانٍ إلّا أن الجملة التي سمعها من الدخان الأبيض ترددت في ذهنه: "هل ستبقى بيدقاً؟" وجعلته يجبر نفسه على الموافقة، بان الانزعاج على وجه سبيرت لموافقة مايند على أداء المهمة، وهمت بالخروج من المكتبة، كان مايند يلاحقها بنظره وهو في حيرةٍ من سبب انزعاجها من انضمامه لهم أو هكذا كان يعتقد، إلّا أنها في الحقيقة منزعجةٌ من قلقها غير المبرر عليه.

قال الأمين:

_ إذاً غداً تبدأ أول مهمةٍ لكَ

همّ كلٌّ من الأمين وسنو بالمغادرة إلّا أن مايند استوقفه بترددٍ وقال:

_ ما هي المهمة التي ستقومون بها لإيقاف منظمة المصدر العالمية؟ والتي أجلتموها إلى الأسبوع القادم بسبب انضمامي لكم؟

_ "نظام شجرة المعرفة الرقمي:" قال الأمين ثم أتبع: "يجب تدمير النظام المعرفي الأساسي في هذا العالم وتزويد الناس بنظامٍ مختلف يضم جميع المعلومات المخبأة عنهم. إن النظام المعرفي هو القوة الفعلية في هذا العالم، ولا يمكن لأي جماعةٍ الفوز في معركةٍ إن لم تكن أسلحتهم الفكرية جاهزةً قبل أسلحتهم المادية، هل تعلم .... أن كل ما فعلته منظمة المصدر هو محاصرة الفكر، ولذا نجحوا في السيطرة على الجماهير والمجتمعات، وجلُّ ما سنصنعه هو عكس ذلك تماماً، سنقوم بنشر الأفكار المختلفة والتي بدورها ستجعل المجتمع يطرح الأسئلة، وهناك شيءٌ خطيرٌ في الأسئلة، أتعلم ما هو؟..... إنها العدو الرئيس للأفكار والمفاهيم الضعيفة والركيكة، فالأسئلة تُعرّي كل كذبةٍ وكل مفهومٍ خاطئ . وإذا ما أردنا الفوز ضد منظمة المصدر العالمية، فزعزعة أساسات نظامها المعرفي وزرع عدم اليقين فيه هما أساس خطتنا المحكمة للنجاح في ذلك..... على كل حالٍ ستعرف أكثر عن ذلك وعن دورك في هذه الخطة في اجتماعنا المقبل بعد أيامٍ، الآن اذهب للراحة فغداً لديك مهمةٌ صعبة.

عاد مايند لتلك الغرفة الصغيرة بعد سماعه لكلمات الأمين وظل يفكر فيها الى أن غلبه النعاس.

الفصل السادس

(وريثة دماء أراديا)

في صباح اليوم التالي يستعد مايند للخروج مع سنو من مكتبة الأكاشا السحرية، وهذه أول مرةٍ يخرج فيها منذ قدومه قبل أسابيع، كان هناك شيءٌ يريد التحقق منه، فقد أخبرته سبيرت بأنهم لم يعودوا في المدينة العائمة التي كان يسكن فيها، فإحدى مزايا مكتبة الأكاشا السحرية أنه ليس لها مكانٌ محددٌ فيمكنها الانتقال من مكانٍ إلى آخر، كما أنها لا تملك هيكلاً خارجيّاً فهي تستحوذ على أيّ مبنىً ويصبح باب ذلك المبنى مدخلاً لها مهما كان حجم المبنى صغيراً أو كبيراً. حزم مايند حقيبةً صغيرةً أعطاه إياها الأمين ماكيفيلي تتسع لحوالي ثلاثة كتبٍ كبيرةٍ أو خمسة كتبٍ صغيرة، فتح باب المكتبة وخطا خطوةً للخارج ليجد نفسه في غابةٍ كثيفة الأشجار، خطا بضع خطواتٍ للأمام وأخذ نفساً عميقاً واستشعر ضوء الشمس الدافئ الذي يتسلل بين أغصان الأشجار على بشرته، التفت للوراء ليرى أنه خرج من كوخٍ صغيرٍ متهالكٍ ولا يوحي بأن أحداً يسكنه، بل إن المكتبة لا يمكن لها إطلاقاً أن تتسع في ذلك الكوخ الصغير! إلّا أنه بعد كل شيءٍ فهو يعلم بأن تلك هي مكتبةٌ سحريةٌ وقوانين العالم الفيزيائيّ الذي يعرفه لا تنطبق عليها، لفت سنو انتباه مايند بأن عليهما التحرك والذهاب لجلب الكتاب الذي طلب الأمين منهما إحضاره، فحمل سنو المعول ومضيا بين الأشجار ولم يلتفتا إلى الوراء، لكن كان هناك شخصٌ يتلصص ويلحق بهما.

_ "منذ متى التحقتَ بجماعة أبناء الحرية؟": سال مايند سنو محاولاً التعرف عليه أكثر بينما هما في طريقهما لجلب الكتاب.

_ "لا أتذكر التاريخ بالضبط، لكن أعتقد أني قاربت السنتين منذ انضمامي لهم، أعتقد أني انضممت قبل انضمام سبيرت ببضعة

أسابيع:" أجاب سنو

_ وما الذي دفعك للالتحاق بهم؟

توقف عندها سنو عن المشي في وسط الغابة وقال:

_ "لأجل ابنتي الصغيرة،" ثم أتبع كلامه: "لقد أخبرك الأمين بأن منظمة المصدر تمتلك مكتبةً سحريةً أيضاً أليس كذلك؟ إن أحد حاملي الكتب فيها قد قام بقتل ابنتي الصغيرة نولا، ومنذ ذلك الحين وأنا عازمٌ على تفكيك تلك المنظمة".

شعر مايند بتأنيب الضمير قليلاً لتذكيره بمأساته فقال:

_ أنا أسفٌ حقّاً لذلك، ما الذي حدث؟ هل تريد التحدث عن الأمر؟

إلّا أن سنو نفى برأسه رغبته في الحديث، وقال:

_ سأتيقن من أن تحترق المكتبة السحرية التي تمتلكها منظمة المصدر العالمية ويحترق معها كل حامل كتبٍ لديهم، عندها فقط سأكون قد حققت غايتي من هذه الحياة ويمكنني بعدها الموت بسلامٍ.

أكملا مسيرهما إلى أن وصلا إلى نهاية الغابة وعند خروجهما منها تمكنا من رؤية مرجٍ واسعٍ جدّاً يمتلئ بالهضاب الصغيرة والتلال، وكان بالقرب من أحد التلال البعيدة صخرةٌ كبيرةٌ، أشار لها سنو وقال:

_ مُرادنا عند تلك الصخرة

_ حسناً ..... لكنْ لديّ سؤالٌ، لمَ طلب مني الأمين مرافقتك؟

فالغابة وهذا المرج غير مأهولين بالسكان، ولا يوجد أحدٌ من أتباع منظمة المصدر هُنا، ليس هناك خطرٌ على حياتك على ما أعتقد!

_ "بصراحةٍ لا أعلم يا مايند، فنحن ننفذ الأوامر ونترك التفكير للقائد:" "أجاب سنو بابتسامةٍ".

بعد أن وصلا عند الصخرة طلب سنو من مايند مراقبة محيطهما بينما سيقوم هو بحفر الأرض بالمعول للوصول للكتاب المُخبأ. وقف مايند على تلٍّ قريبٍ وهو يجول ببصره في الأفق ويأخذ نفساً عميقاً، ونظر للسماء التي بدأت تتلبد بالغيوم، أغمض عينيه قليلاً إلّا أنه شعر ببرودةٍ على خده، فتح عينيه سريعاً ووضع يده على خدّه فشعر بنُدف الثلج التي تساقطت على خدّه، تعجّب لسرعة تبدل الأجواء، فالهواء أصبح أشد برودةً، وعندما نظر للأرض وجد أن الجليد بدأ يكسُو الأرض الخضراء بطبقةٍ رقيقة، بهلعٍ راح يتفقّد محيطه فوجد أن كل شيءٍ قد تجمد، ورأى شخصاً يرتدي الزيّ الرسميّ لمنظمة المصدر العالمية ويغطي نصف وجهه بلثامٍ ويعتمر قلنسوةً ويحمل في يده كتاباً عنوانه (العالم المتجمد)* (هامش: كتاب العالم المتجمد من تأليف بول سيبل يتحدث عن الظروف الصعبة في القطب المتجمد وعن الرحلات الاستكشافية التي ذهبت إلى هناك) تزايدت دقات قلب مايند وبدأت يداه ترتعشان، عرف فوراً أن سبب تغير الأجواء هو أن عضو المنظمة قد أخرج بيئة الكتاب إلى أرض الواقع، فقال دون أن يشيح ببصره عن ذلك الرجل:

_ سنو ..... سنو

إلّا أن سنو لم يُجبه، استدار مايند ليجد مكان سنو فارغاً ومعوله

مُلقىً على الأرض ولا أثر له، ما أن أعاد النظر إلى عضو المنظمة حتى وجد أنه يمسك بيده الأخرى كتاباً ثانياً مفتوحاً، تمتم عضو المنظمة بكلماتٍ فخرجت من الكتاب الثاني مكعباتٌ جليديةٌ كونت شيئاً على هيئة مخلوقٍ بشري ببشرةٍ مشوهةٍ بيضاء، وكأنه عائدٌ من الموت للتوّ! عيناه الزرقاوان باردتان ببرودة الموت، ويرتدي ملابس حربيةً ويحمل في يده سيفاً، رفع المخلوق سيفه وصرخ لتخرج جثثٌ حيةٌ كثيرةٌ بجانبه من تحت الثلج الذي يغطي الأرض، أشار المخلوق بسيفه ناحية مايند لتبدأ أفواج الموتى الأحياء بالتحرك بسرعةٍ باتجاه مايند، لم يسعه استيعاب كل ما يجري، كيف لمهمةٍ بسيطةٍ أن تتركه وحيداً في مواجهة جيشٍ من الموتى الأحياء؟ بذعرٍ فتح حقيبته الصغيرة التي تحوي الكتب وحاول إخراج أحدها إلّا أن ارتعاش يده لم يمكنه من إخراج أحدها بل سقطت الحقيبة وتناثر ما بداخلها من كتب، جثا على ركبتيه محاولاً رفع أي كتابٍ يقع في يده، وقال لنفسه: "سأموت هنا الآن وبدون أن أستطيع إنجاز أي شيءٍ في حياتي".

تلك كانت الفكرة التي طرأت في فكره وهو يحمل كتاب الإلياذة* (هامش: الإلياذة هي أهم ملحمةٍ شعريةٍ إغريقيةٍ للكاتب هوميروس، وتحكي قصة حرب طروادة وبطلها أخيل) الذي سقط من حقيبته. رفع رأسه ليرى أن أفواج الموتى الأحياء قد وصلوا إليه، وأن بضع ثوانٍ فقط تفصل بينه وبين الموت المؤكد، فتح الكتاب بسرعةٍ وقبل أن ينطق باسم أخيل ليخرجه من الكتاب أصابه سهمٌ أطلقه أحد الموتى الأحياء من بعيدٍ واستقرّ في كتفه، سقط الكتاب من يده وقام أحد الموتى الأحياء بركل مايند فأسقطه أرضاً، رفع سيفه وكاد

أن ينهال عليه به إلّا أن كرةً ناريةً ضخمةً سقطت كقذيفةٍ ورمت جميع من يحيطون بمايند بعيداً، تناثر أيضاً الثلج وحجب الرؤية عن مايند، لكنه شعر بكفٍّ ضخمةٍ تسحبه وتساعده على الوقوف، وجد أن من ساعده رجلٌ عملاقٌ مدرعٌ تميزه لحيته وشعره الناري، وبجانب ذلك الشخص تقف سبيرت وفي يدها كتاب هبوط الأبراج السماوية* (هامش: هبوط الأبراج السماوية من تأليف الكاتب عبد العزيز السيهاتي، وفيه قد هبطت الأبراج الاثنا عشر إلى الأرض وقد حصلت على أجسادٍ بشريةٍ وقوىً روحيةٍ مختلفة) مفتوحاً.

_ "لا تقلق يا مايند جئت للمساعدة:" قالت سبيرت

لم يصدق مايند نفسه فقد كان موته محتوماً قبل ثوانٍ قليلةٍ فقط، لم يستطع فهم ما كانت مشاعره في تلك اللحظة، هل يجب أن يفرح بنجاته؟ نعم ذلك ما يجب أن يشعر به أي شخصٍ في موقفه، إلّا أن الإحساس بالدونية والنقص كان طاغياً عليه بسبب عدم قدرته على تغيير شيءٍ، بل الأسوأ أنه أصبح حِملاً على شخصٍ آخر واحتاج لمساعدته.

قالت سبيرت:

_ إنهم الموتى الأحياء الخاصون بالجليد، لقد قرأت عنهم في أحد كتب مكتبة الأكاشا السحرية، تراجع معي يا مايند ودع برج الأسد ليو* (هامش: ليو هو ممثل برج الأسد في رواية هبوط الأبراج السماوية، ويمكنه استخدام النار بقوته الروحية) يتكفل بهم بهجماته النارية.

تراجع مايند بعد أن حمل كتاب الإلياذة مرةً أخرى بيده السليمة،

ووقف بجانب سبيرت وترك المجال لليو للتكفل بالموتى الأحياء.

_ "كيف عرفتِ أنني هنا؟" تساءل مايند

_ "لقد تبعتكما منذ خروجكما من المكتبة، لم أكن مرتاحةً لطلب الأمين بالأمس لذلك حاولت أن أجعلك ترفض المهمة، إلّا أنك قبلت بها:" أجابت سبيرت.

_ ماذا تقصدين؟ هل الأمين غير جديرٍ بالثقة؟

صمتت سبيرت ولم تُجب على سؤاله، إلّا أن صمتها كان دليلاً على أنها لا تثق بالأمين بشكلٍ كاملٍ، كان ليو الذي أخرجته سبيرت من كتاب هبوط الأبراج السماوية يستجيب لأوامرها ويدافع عنهما باستماتةٍ إلّا أنه لم يستطع التقدم لكثرة أعداد الموتى الأحياء.

_ "مايند أحتاج لمساعدتك:" قالت سبيرت، ثم أتبعت: "أخرِج أخيل من كتاب الإلياذة ودعه يحارب بجانب ليو".

أومأ مايند برأسه وفتح الكتاب، عندها تغير ضغط الجو فجأةً وأصبح الجو مشحوناً بالشر، توقف مايند يحاول استيعاب ما يجري إلّا أنه ذهل عندما رأى عضو منظمة المصدر قد أعاد جيش الموتى الأحياء إلى كتابه، وأعاد أيضاً البيئة الجليدية التي أخرجها من كتابه الأول، وألقى بالكتابين على الأرض وفر هارباً.

_ "ما الذي حدث يا سبيرت؟:" تساءل مايند بتعجبٍ

إلاّ أن سبيرت بقيت صامتةً وبدا عليها القلق وكأنها تحلل ما يحدث وهي تلتفت يميناً وشمالاً بعينيها وكأن عقلها يحاول فهم سبب هروب عضو المنظمة، وبينما كانا في موقفٍ حرجٍ بسبب عدد جيش

الموتى الأحياء، بدأت الغيوم تفرغ ما بداخلها من مياهٍ في ذلك الوقت، وبينما كانت سبيرت ما تزال تفكر لمحت قطراتٍ من الدماء تسقط على ساعدها، اتسعت عيناها وارتعش جسدها وهي تقول:

_ اللعنة اللعنة اللعنة اللعنة اللعنة!

بقيت ترددها وهي تلتفت وتراقب محيطها بحذر.

يصرخ مايند فيها:

_ ما الذي يحدث يا سبيرت؟ لمَ أنتِ بهذه الحالة؟ لقد رحل العدو

إلّا أنها لم تستجب لسؤاله وبقيت تردد كلمة "اللعنة" مراراً وهي تتنفس بصعوبةٍ، بدأت جميع قطرات المطر تتحول إلى دماءٍ مما أثار ذعر مايند أيضاً، أمسكها من كتفيها وهزها حتى عادت للواقع وهي تحاول أخذ أكبر قدرٍ من الأوكسجين إلى أن هدأت ثم قالت:

_ استعد للهروب يا مايند

لم يستوعب مايند ما يجري إلّا أن الدماء التي أصبحت تغطي المكان كانت خير دليلٍ على أن القادم لا يبشر بأي خير، أصبح يراقب المكان بحذرٍ هو الآخر حتى لمح الاثنان امرأةً تتقدم من بعيدٍ، كانت تضع طرحةً سوداء من القماش المخرم "دانتيل" تغطي وجهها بالكامل، إلّا أن الثقوب التي فيها تمكنك من معرفة تفاصيل وجهها بشكلٍ ضبابيٍّ، ترتدي فستاناً قوطيّاً أسود وتحزم خصرها بمشدٍّ أسود على الفستان، وتضع طلاء أظافرَ أسود اللون. لم يكن مظهرها المنذر بالشؤم ما جعل قلبيهما يقفزان من مكانهما، بل رأس سنو المقطوع الذي كانت تحمله من شعره بقبضة يدها والدماء تقطر منه!

يصل لمسامع سبيرت ومايند صوت غنائها وهي تقول:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"(Aradia)

رمت سبيرت كتاب هبوط الأبراج السماوية فوراً من يدها بعد أن أعادت ليو له، ورمت الحقيبة الصغيرة التي كانت معلقةً على خصرها، وتحتوي على بعض الكتب الأخرى التي تناثرت فور ارتطامها بالأرض، ثم أمسكت بيد مايند وأطلقت ساقيها للريح تجري وكأن حياتها في خطرٍ محدق. إلّا أن حائطاً من الدماء قد ظهر أمامهما من العدم ومنعهما من مواصلة الطريق، بفزعٍ وقفت سبيرت تبحث عن حلٍّ وهي تحاول إيجاد طريقةٍ للهرب، إلّا أنها لمحت كتاب الإلياذة في يد مايند، أخذت الكتاب من يده بسرعةٍ ورمته باتجاه المرأة التي تتقدم نحوهما، ما أن رمت الكتاب حتى اختفى حائط الدماء الذي كان يمنعهما من مواصلة الهرب، انطلقا سريعاً يركضان عندها أدار مايند رأسه ليرى تلك المرأة تبحث في الكتب الملقاة على الأرض وهي ما زالت تغني:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

كلما ابتعدت سبيرت ومايند عنها قلّ ضغط الجو الهائل الذي شعرا به، إلى أن وصلا عند مدخل الغابة وقد غابت تلك المرأة عن نظرهما كلياً، وقفا ليلقطا أنفاسهما وفي رأس كلٍّ منهما ألف سؤالٍ بخصوص ما حدث.

الفصل السابع

(مقتل سنو)

دخل كلٌ من سبيرت ومايند الغابة في طريقهما للكوخ الصغير الذي يضم مكتبة الأكاشا السحرية في الوقت الحالي، لم يتكلما منذ هروبهما معاً، وكل واحدٍ منهما كان سارحاً في أفكاره، أحس مايند برغبةٍ في البكاء ليس بسبب خوفه من الموت أو من رعب ما حصل، بل من رؤيته لرأس سنو بعد سماعه لرغبته بالانتقام، فقد جعله هذا المنظر يشعر بالضعف وقد تبخرت رغبة سنو بالانتقام في لحظةٍ ولم يستطع تحقيقها. شعر مايند بأن الحياة هشةٌ ويمكن للموت خطف أيّ شخصٍ، دون أن يضع في الاعتبار أحلامه وآماله وما يريد إنجازه! وهذا ما قد يحدث له أيضاً فلا ضمانةَ له للبقاء على قيد الحياة حتى يحقق إنجازاً يفتخر به، توقف مايند في مكانه وهو ينظر إلى الأرض ولم تنتبه سبيرت لتوقفه إلى أن خطت بضع خطوات:

ـ ما بك يا مايند؟ لماذا توقفتَ؟ لم يبقَ الكثير حتى نصل إلى مكتبة الأكاشا السحرية.

قال بصوتٍ يائسٍ:

ـ من هي تلك المرأة التي قتلت سنو؟

فركت سبيرت جبهتها بيدها بتعب:

ـ "لم أكن متيقنةً في البداية، عندما رأيت الأمي...." توقفت للحظاتٍ ثم قالت: "أقصد عندما رأيت عضو منظمة المصدر يرمي بالكتب ويهرب، لم أستوعب إلّا بعد لحظاتٍ، كنت في حيرةٍ إلى أن رأيت الدماء تسقط من السماء وسمعتها وهي تغني أغنيتها الشهيرة، عندها عرفت أنها ساحرة الدماء "أراديا"، سمعت عنها الكثير إلّا أنها

المرة الأولى التي ألتقي بها"

_ "ساحرة الدماء أراديا؟ ومن تكون؟" تساءل مايند متعجباً

_ هل تتذكر القاعدة التي أخبرتك عنها عندما أردت إخراج أول شخصيةٍ من كتاب ذات الجناحين القرمزيين؟

_ نعم ... يجب أن أكمل قراءة الكتاب إذا ما أردت إخراج شيءٍ من الكتاب

_ لا .. لا .. ليست هذه القاعدة، أقصد أن تبقي الكتاب مفتوحاً إلى أن تعيد الشخصية إلى الكتاب

_ "نعم أتذكر ذلك، وإذا أغلقت الكتاب فإن الشخصية ستصبح ذات وعيٍ خاصٍّ بها ويجب تدمير الكتاب أليس كذلك؟": أجاب مايند رغم عدم يقينه مما تريد سبيرت قوله أو علاقته بموضوع الساحرة.

_ إن ساحرة الدماء "أراديا" هي شخصيةٌ من كتابٍ أُخرجت منه قبل أربعين سنةً، في معركةٍ بين حملة كتبٍ من جماعة أبناء الحرية ومنظمة المصدر العالمية، لا أعلم ماذا حدث فيها، لكن نتيجةً لتلك المعركة فإن الكتاب الذي خرجت منه أراديا قد أُغلق قبل أن تعود وأصبح لها وعيٌ بذاتها.

_ ألا يمكننا مقاتلتها؟

_ مقاتلتها؟ إن الوقوف في وجهها يعتبر انتحاراً، فمهما قمت بطعنها أو إحراقها أو حتى تفتيتها إلى قطعٍ صغيرةٍ فإنها ستعود دوماً، ولا يمكن التخلُّص منها إلّا بإحراق الكتاب الذي خرجت منه، وللأسف لا أحد يعرف أين هو هذا الكتاب، ولم أسمع بأحدٍ يعرف

عنوانه من الأساس، وكل ما هو معروفٌ عنه أنه صُنع من جلد البشر وكتبَ بالدماء.

_ أعلم بأن الوقت ليس مناسباً للكثير من الأسئلة، أرجو أن تعذريني ولكن ما الذي تريده ساحرة الدماء أراديا؟

بعد أن سأل مايند سؤاله أحس بدوارٍ في رأسه، واجتاحته برودةٌ في جسده فقال:

_ أعتقد أني أحتاج أن أجلس قليلاً

نظرت له سبيرت بقلقٍ ثم قالت:

_ يبدو أن فقدك للدماء جراء إصابتك بالسهم قد بدأ بالتأثير عليك، إن مكتبة الأكاشا السحرية ليست ببعيدةٍ وسنعالجك فور وصولنا هناك.

اقتربت منه

_ "فلنتحدث ونحن نكمل مسيرتنا": قالت سبيرت، ثم أسندته بجسدها ليواصل المسير وأكملت حديثها: "كل ما نعرفه أنها تبحث عن كتابٍ ما، لذلك إن كنت تحوز على كتابٍ والتقيت بها فالطريقة الوحيدة للتخلص منها هي ترك الكتاب والهرب، فستنشغل بالكتاب وتتركك تهرب، أما إن أبقيت الكتاب معك فكأنك تعلن لها أنك تريد المقاومة وستقتلك في الحال لتحصل على الكتاب. لا أحد يعرف ما هو الكتاب الذي تبحث عنه أو ما هو عنوانه أو لماذا تريده".

كاد مايند أن يسأل سؤالاً آخر إلّا أن سبيرت قاطعته وقالت:

_ انظر لقد وصلنا إلى مكتبة الأكاشا

فتحت باب الكوخ ودخلا إلى المكتبة ليجدا الأمين يقف وهو يبحث في الرفوف، وعند سماعه لخطواتهما التفت إليهما وقال بهدوءٍ:

_ أوه هذان أنتما! أين سنو؟ هل جلبتما الكتاب؟

صمت مايند وهو مطأطئ الرأس للأرض بوجهٍ يملؤه الحزن بينما تقدمت سبيرت مندفعةً بهيجانٍ نحو الأمين وقالت:

_ لقد مات سنو! وكل ذلك بسبب هذه المهمة السخيفة التي أوكلتها لهما،

بانت على وجه الأمين علامات الدهشة الممتزجة بالحزن المصطنع، وقال:

_ هل أنت بخيرٍ يا مايند؟

أجاب مايند بتعبٍ شديد:

_ نعم ... نعم ... أعتقد أني أحتاج إلى بعض الراحة.

عندها أسرعت سبيرت وأخرجت أحد الكتب من الرفوف وأخرجت منه الطبيب توماس لاتا، الذي أخذ مايند وأدخله ليقوم بعلاجه اللازم، وما أن أغلق الطبيب الباب حتى التفتت سبيرت للأمين وفي عينيها غضبٌ عارم.

_ "هل أنت سعيدٌ الآن؟": قالت سبيرت

_ "ما الذي تُلمحين له يا سبيرت؟": قال الأمين بوجهٍ خالٍ من التعابير

ـ هل تعتقد أني لا أعرف أنك ذلك الشخص الذي هاجم مايند متنكراً بزيّ عضو منظمة المصدر العالمية؟ وأنا متيقنةٌ بأنه لم يكن هناك كتابٌ مدفونٌ أيضاً!

ـ إن ذلك اتهامٌ خطيرٌ يا سبيرت، هل تقصدين أني تسببت بموت أحد أبناء الحرية؟

قالت سبيرت بانفعالٍ:

ـ اترك عنك طرقك الملتوية عند التحدث معي، هل نسيت؟ لقد كنت أنا أحد أعضاء منظمة المصدر العالمية، وأعرف جميع حملة الكتاب هناك، لا أحد منهم يغطي وجهه بلثامٍ، كذلك لا أحد منهم يخرج بدون كائن الفلافي بافي الخاص به، كما أن الكتابين اللذين استخدمتهما هما كتابان خاصان بمكتبة الأكاشا وليسا خاصين بمكتبة العلوم المحرمة السحرية التابعة لمنظمة المصدر العالمية، هل هذه الأدلة تكفي أم أنك تريد المزيد؟

ابتسم الأمين ابتسامةً خبيثةً لحدة ذكاء سبيرت وقدرتها على ملاحظة التفاصيل، ثم أخرج كتاب الأمير الملازم له من الحقيبة التي على كتفه وبدأ يقرأ:

ـ "لا يليق بالأمير أن يتخلى فكره للحظةٍ عن علوم الحرب، وينبغي له أن يمارس الحرب في السلم أكثر مما في سواها، وذلك بوسيلتين، الأولى: العمل، والثانية الدرس، أما العمل فهو أن يستبقي جنوده مسلحين مستعدين، وأن يمارس الصيد ليُعوِّد بدنه على المتاعب، وليقف على طبيعة الأراضي وكيف يكون ارتقاء الجبال وهبوط الوديان، ويعلم أنواع الأنهر والمستنقعات"* (هامش: مقطع من كتاب

الأمير لمكيافيلي، الفصل الثالث عشر: واجبات الأمير نحو الجند المحاربين)

عندها أغلق الكتاب وواصل حديثه:

ـ إن مهمتنا ستكون بعد ستة أيامٍ، كنت أحتاج أن أتحقق من أن مايند مستعدٌ لمهمةٍ كهذه، وأنه سيكون مفيداً لنا، يمكنك القول إني كنت أجعله مستعدّاً لما سيواجهه في المستقبل، إلّا أن ساحرة الدماء "أراديا" تدخلت وكان لا بد لي من الفرار.

ـ وهل من الاستعداد أن نفقد أحداً منا؟ لقد مات سنو بسبب طرقك الغريبة في ما تسميه تدريب واستعداد الجنود!

بوجه خالٍ من أي شعورٍ بالذنب أجاب الأمين:

ـ ليست كل الأرواح على قدرٍ من التساوي، بعضها أهم وأكثر فائدةً من الأخرى، من حسن حظّنا أن حاملَي الكتب الخاصّين بنا قد عادا سالمَين

ثار غضب سبيرت من منطق الأمين بأن أرواح أبناء الحرية ليست جميعها مقدسةً بالنسبة إليه، فهو يعتبرهم بيادق يمكن التخلص منهم فور وجود بيدقٍ أكثر فائدةً، شعرت برغبةٍ عارمةٍ بلَكم الأمين في وجهه المتحذلق إلّا أنها ضبطت نفسها بصعوبةٍ كي لا تفعل ذلك، وتبدأ بتصعيداتٍ قد تشقُّ صفوف جماعة أبناء الحرية، أحست بأن الحديث مع الأمين يزيد من رغبتها في الشجار معه فقررت إنهاء الحديث، وضعت الكتاب المفتوح في يدها والذي خرج منه الطبيب على أحد الرفوف وخرجت من المكتبة لتهدئة نفسها قليلاً. كان الليل قد حلّ وانخفضت درجة الحرارة بشكلٍ كبيرٍ، ضمت جسدها بيديها،

ورغم شدة البرد خلعت حذاءها وتركت الأرض العشبية تلامس باطن قدميها، كانت رائحة التراب الرطب الممزوج برائحة الأعشاب تداعب أنفها، والأرض تفيض بطاقةٍ عجيبةٍ تتسلل إلى كل ذرةٍ في أنحاء جسدها. رفعت رأسها للسماء التي اكتست برداءٍ أسود صافٍ إلّا من ذلك البدر المضيء والنجوم المتلألئة. تنفست بعمقٍ وأحست بطاقة الأرض تدخل إلى جوفها حتى امتلأت رئتاها لحدودهما القصوى، ثم زفرت أنفاسها من فمها. كان نسيم الهواء البارد يلامس بشرتها ويلعب بخصلات شعرها الحريري، قررت المشي قليلاً إلّا أنها سمعت مواءً بجانبها، نظرت لتجد قطةً أليفةً بجانبها، اقتربت وفركت فرو جسدها الناعم بقدمها. انحنت سبيرت وبدأت تربت على جسد تلك القطة بابتسامةٍ، وقد تبخّر كل ما كان يعتريها من غيظٍ فور ملامستها لتلك القطة! ربما لأنها ذكّرتها بمخلوق الفلافي بافي الذي كانت تمتلكه عندما كانت أحد أعضاء منظمة المصدر العالمية. أخذت تلاعب تلك القطة وقالت:

_ ما الذي أتى بكِ إلى هنا يا صغيرة؟ .. هل هو القدر أم أنكِ اخترتِ القدوم بإرادتكِ؟

حملت سبيرت القطة بين ذراعيها وقررت أن تتبناها، قالت وهي تحك خدها بفرو القطة:

بنفس اسم حيوان الفلافي بافي الخاص بي سابقاً سأسميكِ (الكمي) "(Alchemy)"

دخلت سبيرت المكتبة من جديدٍ وهي تحمل قطتها الكمي، كان الأمين يقف بجانب اللوحة التي كتب عليها تفاصيل المهمة القادمة،

وفور رؤيته لسبيرت وهي تحمل الكمي ابتسم ابتسامةً خفيفةً ثم استدار سريعاً ليخفي ابتسامته وكأن تلك الابتسامة ستفضح جانباً منه يحاول قمعه. كان الطبيب توماس يقف هناك أيضاً وينتظر بعد أن أنهى معالجة مايند، وضعت سبيرت القطة على الأرض وذهبت للكتاب الذي تركته مفتوحاً، أخبرت الطبيب بالعودة للكتاب ثم دخلت باب الغرفة الخلفية التي يسكن فيها مايند في الفترة الأخيرة للاطمئنان عليه، وجدته جالساً على طرف السرير يستند على ركبتيه بمرفقيه ويدفنُ وجهه بين كفيه. كان يرتدي بنطاله فقط ويلف كتفه المصاب بالضمادات بعد أن خاط الطبيب جرحه. اعتذرت عندها سبيرت عن دخولها بدون استئذان.

_ "لا عليك يا سبيرت، يمكنك الدخول كلما أردتِ": قالها مايند بدون أن يتحرك أو يرفع رأسه.

جلست سبيرت بجانبه في صمتٍ فبدأ مايند الحديث:

_ هل تعلمين يا سبيرت؟ لا أعلم بمَ يجب أن أشعر حقّاً، لا أستطيع تمييز هذه المشاعر التي تجتاحني هل هي مشاعر غضبٍ أم حزنٍ أم يأسٍ أم عجزٍ؟ كل ما أعرفه أنها مشاعر لا أرغب في وجودها داخلي! هل هذا أمرٌ طبيعيٌ؟

أجابت:

_ لا يمكن لأحدٍ أن يخبرك أن ما تشعر به غير صحيحٍ، فالمشاعر شيءٌ معقدٌ جدّاً لكن مع ذلك فإن التعامل معها يجب أن ينبع من مفهوم قبولك لها والتصالح معها.

استلقى مايند على طرف السرير بينما قدماه ما زالتا مثبتتين على

الأرض وبدأ الحديث بإسهابٍ:

_ لقد كنت طوال حياتي شخصاً عادياً ... لم تكن لي أهدافٌ كبيرةٌ أو طموحٌ في أي شيءٍ، لقد تربيت على أن أتجنب المشكلات حتى لو كنت على حق، ربما لوالديّ دورٌ كبيرٌ في صنع شخصيتي الضعيفة هذه، لا أعلم ما الذي واجهاه ليكونا خانعين للقدر هكذا، لكني لا ألومهما فهما ربياني بالطريقة التي يعرفانها فقط. كنت الطفل الوحيد لهما وأعيش بقوانينهما الصارمة في صغري، لم يسمحا لي بأن أكون اجتماعياً مع الآخرين، لقد كنت أرى جميع من حولي يحققون أحلامهم وطموحاتهم بينما تمت برمجتي على أنّ أقصى طموحي أن أعيش حياةً عادية، ورغم ذلك كان هناك شيءٌ في داخلي يشعرني بالتضاؤل في كل مرةٍ أرى فيها أحداً يحقق ما يتمناه. لم أكن أريد ما يمتلكونه أبداً، لكني كنت أريد شيئاً لم أعرف ما هو حتى وقفت بين يدي الموت الجافتين، عندها فقط عرفت ..... أني لا أريد حياةً عادية، أريد أن أكون راضياً عن حياتي عندما أسمع صوت احتكاك منجل الموت بالأرض قادماً نحوي. أريد أن أرى ومضات حياتي قبيل لحظاتي الأخيرة وأنا أقول: لقد كانت مليئةً بإنجازاتي الشخصية وبقراراتي المتهورة والعفوية، لكن أتعلمين يا سبيرت؟ ..... ما رأيته اليوم جعلني قلقاً حقّاً! ..... إن موت سنو جعلني أستوعب جيداً أن الموت من المستحيل أن يعطي أحداً وعداً بألّا يطرق بابه في أي لحظةٍ صافعاً عرض الحائط بجميع مخططاتنا وأهدافنا.

كانت سبيرت تستمع له بصمتٍ وتركيزٍ كبيرين، وعندما أنهى كلامه استلقت بجانبه على السرير بوضعيته نفسها، والاثنان ينظران

للسقف، قالت سبيرت بابتسامة:

_ هل تعلم يا مايند؟ يبدو أن ما يقلقك الآن حقّاً هو نفسه الشيء الذي يقلقني في الفترة الأخيرة؟

استدار مايند لها وسأل بتعجب:

_ وما هو ذلك الشيء؟

_ الإرادة الحرة. إنك تخاف أن تموت قبل أن تصنع شيئاً بملء إرادتك حقّاً، يقلقك أن تكون حياتك مُقدرةً وليس لك يدٌ فيما يحدث لكَ. تريد أن تكون مسيطراً على عالمك، هل سمعت بتلك المقولة يا مايند؟ "لكل شخصٍ فينا حياتان تبدأ الثانية عندما ندرك أن لنا حياةً واحدةً فقط"* (هامش: مقولة منسوبة للفيلسوف الصيني كينفشوس) أشعر بأن المقولة تعني أنه متى ما أدركنا أن لنا حياةً واحدةً فإن قراراتنا ستكون بإراداتنا وليس بإرادة من حولنا.

_ إذاً، ماذا تعتقدين يا سبيرت؟ هل نملك إرادة حرةً حقّاً؟

استدارت سبيرت نحوه وأصبح وجهاهما متقابلين وقريبين بعضهما من بعض وقالت:

_ لا يوجد دليلٌ على .....

قاطعها صوت طرق الباب وقام الاثنان بسرعةٍ واعتدلا في جلستهما، عندها دخل الأمين وطلب من سبيرت مرافقته لأن قطتها التي جلبتها قد صنعت فوضى في المكتبة. قامت سبيرت وقد وضعت يدها على خد مايند وقالت:

_ سنكمل حديثنا في وقتٍ لاحق، لكن تذكر مهما حدث ليس هناك

في هذا العالم إلّا مايند واحد فقط، والأشياء التي يستطيع فعلها لا يمكن لأحدٍ آخر غيره فعلها، لأن جميعنا مميزون بطريقتنا الخاصة.

خرجت من الغرفة لترى ما الذي فعلته قطتها الكمي في المكتبة، بينما قرر مايند أن يباشر في قراءة كتابٍ جديدٍ فهو حتماً سيحتاج للمزيد من الكتب في مهمته القادمة، خاصةً بعد أن فقد خمسة كتبٍ في مواجهته مع ساحرة الدماء "أراديا".

الفصل الثامن

(الانتقال إلى المدينة الحديدية)

انهمك مايند في القراءة خلال الأيام الماضية ليزيد خياراته في الكتب المرافقة له في مهمته الرئيسة القادمة، لكنه لم يكن الوحيد المنهمك في القراءة، فقد كانت سبيرت بجانبه دائماً ويتبادلان الكتب التي قرأاها ويتناقشان فيها، ربما اقتراب سبيرت منه كان بسبب فتح مايند قلبه لها وإخبارها بما يشعر به حقّاً، فقد كسرَ الحوائط الزجاجية التي يختفي خلفها البشر. كان مايند يجلس في غرفته عندما تم استدعاؤه من قبل سبيرت فخرج ليجد الأمين ولوحه الخشبي ذا الرسومات والأسماء، ويقابله أعضاء جماعة أبناء الحرية مجتمعين خارج المكتبة. وما أن وصل هو وسبيرت حتى باشر الأمين في الحديث:

_ لقد اكتمل العدد وحضر الجميع ويمكننا أن نباشر الخطة التي سنقوم بتنفيذها غداً، في البداية سأشرح لكم الهدفين الرئيسين، وهما مركز الطاقة الرئيسي الذي يغذي نظام شجرة المعرفة الرقمي، والهدف الثاني هو مركز خوادم "سيرفرات" نظام شجرة المعرفة. الهدفان هما في المدينة الحديدية وسننتقل لها جميعنا عن طريق نقل مكتبة الأكاشا السحرية إلى هناك. سيقوم فريقان من أبناء الحرية بالعمل في وقتٍ متزامنٍ لإتمام المهمة، الفريق الأول سيقوم بالهجوم على مركز الطاقة الرئيسي وتدميره، بينما سيستغل الفريق الثاني انقطاع الطاقة الذي سيستمر لمدة ستين ثانيةٍ - بعد هجوم الفريق الأول- ويضع الذاكرة الوميضية "فلاش ميموري" التي جهزناها مسبقاً في غرفة الخوادم لتحميل نظامٍ معرفيٍّ جديدٍ يحتوي على الكثير من العلوم التي أخفاها مؤسسو منظمة المصدر العالمية.

ثم استدار الأمين نحو سبيرت وقال:

_ ستكونين المسؤولة عن تدمير مركز الطاقة الرئيسي وسيرافقكِ كلٌ من "ليسا" و"قالي" لدعمك، ثم استدار نحو مايند وقال له:

_ ستكون قائد الفريق الثاني، الذي سيتجه لمركز الخوادم في شمال المدينة الحديدية، وستقوم بزراعة الذاكرة الوميضية في المهلة المحددة، وسيرافقك "سالي" و"راغ" لدعمك أيضاً، أما "غوز" و"هيو" و"لوك" فستبقون في المنتصف بين الهدفين لمساندة أي فريقٍ يحتاج المساندة.

عندها رفع الأمين دائرةً بيضاء صغيرةً بأصابعه وقال:

_ ستكون هذه السماعة الصغيرة حلقة التواصل بينكم، ستضعونها في آذانكم لتتمكنوا من العمل بتزامنٍ وسلاسة. ستكون هذه الضربة الموجعة الأولى لمنظمة المصدر في المئة سنةٍ الفائتة. لن يكون هناك تراجع بعد هذه المهمة إلى أن يندثر أحدنا، فإما نحن وإما هم.

هتف الأعضاء بحماسٍ بعد أن أنهى الأمين كلامه، وتناول كل واحدٍ منهم السماعة الخاصة به، أما مايند فقد كان واقفاً بجانب سبيرت، فقالت له:

_ هل أنت مستعدٌ؟

_ نعم بالتأكيد.

تذكرت عندها سبيرت شيئاً وقالت بحماس:

_ أنت لم ترَ كيف تنتقل مكتبة الأكاشا السحرية من قبل، أليس كذلك؟

هزّ مايند رأسه نافياً، فأمسكت سبيرت بيده باندفاعٍ وأسرعت في خطاها تسحبه معها إلى داخل مكتبة الأكاشا السحرية وهي تقول باتقادٍ:

ـ سيكون الأمر سحريّاً جدّاً، إنه في غاية الروعة.

كان الأمين ينظر لهما بحدةٍ وهما يدخلان إلى المكتبة، لم يعجبه تقربهما بعضهما من بعض في الأيام المنصرمة، فمنذ عودتهما من المهمة التي أوكل بها مايند وسنو وهما يقضيان الكثير من الوقت معاً، والأدهى بالنسبة له هو عدم معرفته سبب تقربهما، ذلك الأمر يمنحه شعوراً بعدم السيطرة الكاملة على أتباعه وعالمه.

بعد أن دخلا معاً صعدا سريعاً للطابق الثاني ووقفا أمام تمثال أطلس الرخامي الذي يحمل العالم على كتفيه، وقالت:

ـ هنا ستعيش التجربة بدون أي تشتيتٍ، ما أن يجتمع الكل في الداخل سيقوم الأمين بالبدء بإجراءات النقل.

ـ وكيف يتم ذلك؟ لم تخبروني من قبل بالطريقة التي تنتقل بها مكتبة الأكاشا السحرية.

ـ أوه صحيح، يتمّ باستخدام التماثيل، فتمثال بروميثيوس في الطابق الأول يحمل الشعلة، وعندما تحدد المبنى الذي تريد أن تنتقل له في ذهنك فإنك تسحب الشعلة كعتلة، وعندها ستنتقل المكتبة بطريقةٍ رائعةٍ وخيالية.

ثم قالت بعجلة:

ـ انتظر هنا، سأذهب لأرى إن كان الجميع قد دخلوا وأنهم

مستعدون لعملية الانتقال.

نزلت سبيرت عندها مسرعةً إلى الطابق الأول ولم تلبث طويلاً حتى عادت وهي تحمل قطتها الكمي وتقول:

_ لقد حددوا المبنى المهجور الذي ستستولي عليه مكتبة الأكاشا السحرية، استعد سيتم تحريك الشعلة في أي وقت.

_ "وكيف أستعد لذلك؟ وأنا لا أعرف ما سيحدث:" "سألها مايند بنوعٍ من القلق".

اقتربت منه وقالت:

_ "فقط اهدأ واستمتع بالأمر".

وقفت بجانبه وهي في قمة انتشائها، وكأنها طفلةٌ فرحةٌ بهدية عيد ميلادها التي طالما انتظرتها، ابتسم مايند لرؤية جانبٍ لم يره فيها من قبل. أحست سبيرت باهتزازٍ خفيفٍ في الأرض تحت أقدامهما، فقالت له:

_ لقد بدأ الأمر.

جميع الكتب التي على الرفوف بدأت بالاهتزاز أيضاً، وخرجت من رفوفها ببطءٍ وطفت في الهواء وكأن الجاذبية انعدمت!

_ "لا تقلق من أي شيءٍ، فقط تنفس بعمقٍ وأمسك يدي:" "قالت سبيرت".

أخذ مايند نفساً عميقاً ثم أمسك بيد سبيرت، فأضاءت الكتب جميعها بنورٍ خافتٍ وكأنها نجومٌ بعيدةٌ في السماء، عندها تحركت

الكرة الأرضية الرخامية التي على كتفي أطلس وباشرت بالدوران، وكانت الكتب جميعها تدور حولها. شعر كلٌ من مايند وسبيرت بانعدام وزنيهما، وطفا شعر سبيرت أولاً في الهواء ثم ما لبثا أن طفوَا وارتفعا عن أرضية المكتبة ممسكين بعضهما بأيدي بعض. حركت سبيرت رجليها وكأنها في بركة سباحة، ودارت حول تمثال أطلس يرافقها مايند. تركت يده وسبحت مبتعدةً عنه في الهواء، وراحت تلفُّ وتدور برقةٍ وكأنها ترقص على أنغامٍ مُتخيلةٍ، بينما كان مايند ينظر لها بافتتانٍ وانجذاب، توقفت ونظرت لمايند تدعوه لمشاركتها الرقص، سبح نحوها في الهواء إلى أن وصل إليها وأمسك يدها وخصرها، وراحا يتمايلان ويشعران بالحرية المطلقة مع كل دورانٍ وكل حركة، وكان لأجسادهما المنعدمة الوزن تأثيرٌ بجعل حركتهما أكثر أناقةً وانسيابية، وكان لتناغم رقصهما أثرٌ في شعورهما بالتواصل وكأن كيانيهما ووعيهما قد ذابا معاً مشكّلين وعياً واحداً. لم يكن للماضي أو المستقبل معنىً وهما في تلك الحالة من التناغم، فكل ما كان وما يمكن أن يكون لن يصبح بأهمية هذه اللحظة من السلام، أنهيا رقصهما واحتضن كلٌ منهما الآخر، بدأت الكتب تطفو باتجاه الرفوف وتعود لمكانها إلّا أن بعضها سقط على الأرض، وكذلك كلٌ من سبيرت ومايند هبطا مرةً أخرى ولامست أقدامهما الأرض. كانا ينظران بعضهما في عيني بعض بشغفٍ بعد أن أنهيا رقصتهما السماوية، عندها قالت سبيرت:

_ إذاً ما رأيك؟

لم يجد مايند الكلمات المناسبة لوصف تلك التجربة الخرافية المذهلة للعقل، إلّا أن ابتسامته ونظراته العميقة في عينيها كانت

كفيلةً لفهم سبيرت أن تلك التجربة قد استقرت في أعماق ذاكرته. نظرت للكتب التي سقطت على الأرض وقالت بتململ:

_ هذا هو الشيء السيئ الوحيد في الأمر، بعض الكتب لا تعود لمكانها ويجب علينا إرجاعها للرف.

حملا مجموعةً من الكتب وأعاداها للرفوف، ثم أمسك كلٌ منهما بيد الآخر وهبطا على السلالم إلى الطابق الأول، حيث وجدا باقي جماعة أبناء الحرية قد انتهوا للتو من ترتيب الكتب التي سقطت في الطابق الأول. أعطى الأمين أمراً لـ "قالي" لكي يخرج بحذرٍ ويتحقق من أنهم وصلوا للمدينة الحديدية، وأنهم في المكان الصحيح. خرج "قالي" بينما بقي الجميع على أهبة الاستعداد إلى أن عاد وأخبرهم بأن كل شيءٍ يسير على ما يرام، استدارت سبيرت نحو مايند وقالت:

_ هل زرت المدينة الحديدية من قبل؟

_ لا لم أخرج في حياتي من المدينة العائمة أبداً

أخبرت مايند بأن ينتظرها وأسرعت للدخول إلى غرفة المؤن التي تحاذي غرفته وأخرجت منها عباءةً متصلةً بقلنسوةٍ ولثامٍ، وقالت:

_ ارتدِهما بينما أعود وأرتدي العباءة واللثام الخاصين بي.

لم يكن يسمح لسبيرت ومايند بالخروج وكشف وجهيهما للعلن في مدينةٍ مكتظةٍ بالسكان، فالملصقات التي لا بد أنها تملأ المكان تحمل صورتيهما بالإضافة إلى صورة الأمين ماكيفيلي. خرجت بسرعةٍ بعد أن أخفت ملامحها تحت القلنسوة واللثام، وأسرعا معاً للخروج من

المكتبة، إلّا أن الأمين قال:

ـ إلى أين أنتما ذاهبان؟

توقفا وبانزعاجٍ قالت سبيرت:

ـ سنذهب لتفقد المدينة.

ـ "لا تتأخرا فغداً أحتاجكما أن تكونا في أتم استعدادكما"

تجاهلت سبيرت كلامه وانطلق الاثنان في مسيرهما، فور خروجهما من الباب لاحظ مايند الظلام الذي يحيطه، ما عدا نوراً ساطعاً يمكن رؤيته من بعيد، التفت لرؤية المكان الذي خرج منه ليجده مبنىً كبيراً صدِئاً مكوناً من طابقين، كُتب على بوابته "مصحة المدينة الحديدية النفسية"، عرف عندها أن المكان الذي اتخذه الأمين مقرّاً لمكتبة الأكاشا السحرية هو مصحةٌ مهجورةٌ في المدينة الحديدية، لتجنب وصول أي شخصٍ إليها بالخطأ. تجاوز الاثنان الأسوار المحيطة بالمصحة ومضيا متجهين إلى مركز المدينة. إن المدينة الحديدية هي مركز منظمة المصدر العالمية، وقد تم بناؤها بشكلٍ كاملٍ من الحديد والطوب، لن تجد في هذه المدينة أي نوعٍ من النباتات أو الأشجار، بل جميع ما فيها مكونٌ من موادٍّ غير عضويةٍ وقد تم طلاء المدينة بالكامل باللون الأسود، ولذلك فإن الإنارة القوية والساطعة هي شيءٌ أساسيٌ في هذه المدينة. يمتزج فيها الفن المعماري الحديث بزخارف قوطيةٍ* (هامش: الفن القوطيّ "البربريّ" هو فنٌّ من العصور الوسطى، تطور في فرنسا من الطراز الرومانيسكي) فتجد ناطحات السحاب تزين أسطحها وبواباتها بتماثيل كالغرغول* (هامش: الغرغول هو أسطورةٌ فرنسيةٌ عن

وحشٍ قبيحٍ يشبه التنين، قد قام القديس رومانوس بقتله وتعليق رأسه على باب الكنيسة، تستخدم هذه التماثيل التي تشبه هذا الوحش لتصريف مياه الأمطار من على الأسطح) أو القديسين، كما أن هناك كاميرات مراقبةٍ في كل مكانٍ في المدينة، بحيث لو قام أي شخصٍ بعملٍ تخريبيٍّ فإنه لن يستطيع الإفلات من أيدي أعضاء منظمة المصدر.

يسير الاثنان في شوارع المدينة، ومايند مذهولٌ من تفاوت الثقافة العمرانية عن مدينته العائمة. كانا يتحدثان في أمورٍ شتى إلى أن وصلا إلى الدوار المركزي الذي يعد مركز المدينة الحديدية. كانت تنتصب في منتصف الدوار ثلاثة تماثيل عملاقةٍ مصنوعةٍ من النحاس، يعطي كل واحدٍ منهم ظهره للآخر وكأن كل واحدٍ فيهم يحرس المدينة من جهةٍ مختلفة. أشارت سبيرت لتلك التماثيل وقالت:

_ تلك ستكون قاعدة انطلاقنا، تلك التماثيل الثلاثة هي تماثيل المؤسسين لمنظمة المصدر، قبل زمنٍ طويلٍ جداً قد تم بناؤها تخليداً لذكراهم، سنجتمع في الفراغ الموجود بين التماثيل، وستنطلق فرقتي باتجاه الغرب بينما ستنطلق فرقتك باتجاه الشمال، وستبقى الفرقة الداعمة الثالثة هنا فهو المكان الوحيد الذي لا ترصده كاميرات المراقبة.

وبينما كانت سبيرت تواصل شرحها لمايند رأت بالقرب منها مخلوق فلافي بافي تائهاً، تجمد عندها مايند في مكانه وعاودته ذكرى مطاردته من قبل أعضاء المنظمة وغرس الفلافي بافي أنيابه في كتفه، إلّا أن سبيرت أسرعت وقامت بحمله واستدارت لتجد

مايند متسمراً في مكانه فقالت:

_ لا تقلق يا مايند إن الفلافي بافي لطيفون للغاية بشكلٍ عام، ليس في حوزتنا أي كتابٍ لذا لا تخشَ شيئاً، في المدينة الحديدية ستجدهم أكثر من القطط السائبة في الشوارع، كما أن الحقائب التي نملكها لوضع الكتب فيها لها خاصية منع الفلافي بافي من شم رائحة الكتب التي تحتويها، لذا يمكننا المشي بجانبها باطمئنانٍ ما دمنا لا نقوم بإخراج كتابٍ أمامها.

خف قلق مايند لكنه لم يكن مرتاحاً بالكامل في وجود الفلافي بافي بالقرب منه. أحست سبيرت بذلك ورغم رغبتها بملاعبة ذلك المخلوق لكنها قررت تركه يذهب، وعادت إلى مايند وأخبرته أنهما يجب أن يعودا إلى المكتبة ليرتاحا قبل مهمتهما الكبيرة غداً.

عادا إلى المكتبة بعد أن اتخذا الطريق الأطول أثناء عودتهما، وباشر الجميع باستعداداتهم الخاصة، فقام كلٌ من مايند وسبيرت باختيار الكتب المتفق عليها بينهما وبين الأمين. الجميع يشتعلون حماساً رغم أن القلق كان بادِياً على وجوههم وتصرفاتهم بشكلٍ أكبر بكثيرٍ حتى أنهم لم يستطيعوا النوم أبداً تلك الليلة.

الفصل التاسع

(أبرا كادابرا)

يقف الجميع في المنتصف بين التماثيل الثلاثة ما عدا الأمين الذي بقي لحماية مكتبة الأكاشا السحرية، ينتظرون بفارغ الصبر قدوم الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً ليتحرك كل فريقٍ باتجاه هدفه، فكما أخبرهم الأمين فإن التحرك يكون قبل منتصف الليل بنصف ساعةٍ فقط، وعند الساعة الثانية عشرة بالضبط يجب على الفرقة الأولى تدمير مركز الطاقة الرئيسي للمدينة، وعلى الفرقة الثانية استغلال الدقيقة التي تفصل انقطاع الطاقة عن المركز الرئيسي إلى تفعيل المركز الاحتياطي للمدينة، لوضع الذاكرة الوميضية في خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي. وبعد إنهاء المهمة يجب أن يجتمعوا في المكان نفسه. تحقق الجميع من عمل السماعات اللاسلكية التي أعطاهم إياها الأمين وزامنوا ساعاتهم اليدوية معاً. بقيت خمس دقائق فقط على حلول الموعد المحدد. كان الجميع يراقبون ساعات يدهم ويخيل لهم أن عقارب الساعة لا تتحرك من فرط التوتر، جميع عضلات أجسادهم مشدودةٌ وأيديهم متعرقةٌ. بقيت دقيقةٌ واحدةٌ للانطلاق، عندها نظر مايند إلى سبيرت وقال:

ـ كوني حذرةً وعودي إلى هنا سالمة

ابتسمت سبيرت بقلقٍ واحتضنته وهمست في أذنه:

ـ وأنت أيضاً

دقت ساعاتهم جميعاً معلنةً أن ساعة الانطلاق قد حانت، فسمع الجميع صوت الأمين في سماعاتهم اللاسلكية وهو يقول:

ـ فلتحيَ الحرية الفكرية، انطلقوا يا أبناء الحرية.

انطلق فريق مايند نحو الشمال بينما انطلق فريق سبيرت نحو

الغرب، كان الفريقان يمشيان في هدوءٍ كي لا يثيروا الريبة، بعد ما يقارب عشر دقائق أعلن فريق مايند وصوله إلى مركز خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي، المبنى يحيطه سورٌ رفيع، وبين المبنى وبوابة السور هناك شجرةٌ عملاقةٌ خاليةٌ من الأوراق، مصنوعةٌ من الذهب، وهي رمز نظام شجرة المعرفة الرقمي. يقف حارسان أمام البوابة الرئيسة بينما يجلس تقنيًا حاسوبٍ في الداخل لعمل الصيانة اللازمة للخوادم وحل أي مشكلةٍ غير متوقعةٍ قد تحدث خلال فترة مناوبتهما. يقف مايند وسالي وراغ مختبئين خلف الحائط الشمالي للسور ويسترقون النظر للبوابة الرئيسة حتى يحين الوقت المناسب للهجوم. لم يكن الحارسان مشكلةً بالنسبة لهم فهما يقفان في الخارج، لكن كانت المشكلة الحقيقية هي كيف يمكنهم إخراج التقنيّين من الداخل وإبقاء الباب مفتوحاً، ليصبح بإمكانهم الدخول؟! لكن الأمين كان قد أعطى مايند كتاباً ليقرأه، يحوي تعويذةً تمكنه من فتح الأقفال، أعطى مايند إشارةً لفريقه بأن يستعدوا، ثم أخرج كتاب "المسخ"* (هامش: رواية المسخ "التحول" للكاتب الألماني فرانز كافكا، تحكي عن جريجور الذي استيقظ في يومٍ ليجد نفسه قد تحول لحشرةٍ عملاقةٍ ليتحوّل من مُعيلٍ إلى عالةٍ على عائلته) من حقيبته الصغيرة وفتح الكتاب وقال:

_ اخرج يا جريجور

تدفقت صراصير كثيرةٌ من وسط الكتاب وسقطت على الأرض مكونةً حشرةً عملاقةً، تئنُّ وتزحف بصعوبةٍ باتجاه الحارسين الغافلين. شعر مايند بشيءٍ من عدم الراحة والذنب لإخراجه جريجور وهو بتلك الحالة، فمعاناة جريجور انتهت بنهاية رواية

المسخ ولا يريده أن يعاني المزيد. تلك المشاعر التي اجتاحته كانت بسبب أنه بدأ يعتبر شخصيات الكتب والروايات أشخاصاً وليسوا مجرد حبرٍ وورق، لكن لم يكن لديه خيارٌ أفضل من استخدام حشرةٍ عملاقةٍ لتشتيت انتباه الحراس. واصلت الحشرة الزحف بصعوبةٍ وهي ما زالت تئنُّ عندما التفت لها أحد الحارسين، وذعر لما رآه وقال لزميله باشمئزازٍ:

_ هل رأيت حشرةً بهذا الحجم من قبل؟

اقترب الحارسان بحذرٍ من الحشرة رافعين هراواتهما وانهالا بالضرب على تلك الحشرة، استغل راغ وسالي انشغال الحارسين بالحشرة وتسللا خلفهما وأطاحا بهما، التحق عندها مايند بهما وأعاد جريجور للكتاب وهو يقول:

_ أسفٌ جداً لما حل بك يا جريجور

دخل الثلاثة من بوابة السور واختبؤوا خلف شجرة المعرفة الذهبية العملاقة، عندها سمعوا من السماعة اللاسلكية فريق سبيرت يعلن وصوله لوجهتهم. نظر مايند للساعة فكانت الحادية عشرة وثمانياً وأربعين دقيقةً، بقيت لهم اثنتا عشرة دقيقةً للوصول لغرفة الخوادم، أتبعت عندها سبيرت برسالة: "سنباشر الدخول على الفور، كما اتفقنا سينقطع الإرسال فور دخولنا إلى أن ننهي المهمة".

_ "توخي الحذر يا سبيرت:" قال مايند، لكنها لم تجبه.

أخذ مايند نفساً عميقاً وأخرج كتاباً آخر من حقيبته وأشار لزميليه بأنهم سيبدؤون المرحلة الثانية وسيقتحمون المبنى. تسلل الثلاثة حتى وصلوا إلى باب المبنى المغلق بقفلٍ حاسوبيٍّ متطورٍ جداً،

يضيء باللون الأحمر. فتح الكتاب وقال:

_ ألوهومورا* (هامش: ألوهومورا هي تعويذةٌ يمكنها فتح أي قفلٍ، موجودةٌ في كتابٍ خاصٌ بالسحر) فور نطق مايند لتلك الكلمة تبدل اللون الأحمر الذي يضيء به القفل إلى اللون الأخضر وفُتح الباب، فور دخولهم وجدوا تقنياً يعمل على حاسوبٍ على يسارهم، تسلل له راغ وأفقده وعيه، وأكمل الثلاثة تقدمهم نحو غرفة الخوادم، كان التقني الآخر يقف وينظر إلى التيرمومتر* (هامش: التيرمومتر هو جهاز مقياس حرارة زئبقي للغرف) الخاص بغرفة الخوادم. تسللوا خلفه وأفقدوه وعيه هو الآخر، توقف مايند أمام باب غرفة الخوادم وهو يمسك بكتاب السحر الذي يحمله ليلقي التعويذة لفتح القفل كي يصلوا إلى وجهتهم، لكنه قبل أن ينطق التعويذة سمع أحدهم يصرخ:

_ من أنتم؟ ماذا تفعلون هنا؟

لم يكن أبناء الحرية يعلمون أنه في بعض الأيام يأتي تقنيٌ ثالثٌ إذا كانت الخوادم تحتاج للكثير من الصيانة. سادت لحظة صمتٍ لبضع ثوانٍ، كلٌ منهم راح ينظر للآخر، استغل التقني وقوف الثلاثة المذهولين من وجود شخصٍ غير متوقعٍ وأسرع باتجاه زر جرس الإنذار ليُفعّله، بدون وعيٍ نطق مايند باسم إحدى التعويذات من الكتاب:

_ أبرا كدابرا* (هامش: أبرا كدابرا هي تعويذةٌ في كتاب السحر، يمكنها قتل أي شخصٍ بسرعةٍ وبدون ألمٍ) انطلق ضوءٌ أخضر سريعٌ من الكتاب وأصاب التقني، فسقط أرضاً قبل أن يصل لجرس الإنذار،

توقف مايند مكانه مجفلاً ينظر لجثة التقني الملقاة على الأرض بدون حراك، إنها المرة الأولى لمايند التي جعلته مصدوماً يقف في مكانه بدون حراك، فأخذ روح شخصٍ آخر ليس بالأمر الهين الذي يمكن للإنسان معالجته بسهولة، بالرغم من أن الأمين أوصى بكتبٍ أكثر فتكاً لإتمام المهمة، إلّا أن مايند رفض أخذها وقرر أنه سيقوم بإتمام المهمة بدون قتل أي أحد، ومع ذلك فإن القدر قد وضعه في موقفٍ اضطر فيه لقتل أحدهم. كان كلٌ من سالي وراغ ينادي على مايند لكنه لم يكن يسمعهما، فهو في مكانٍ عميقٍ بداخل ضميره، إلى أن وضعت سالي يدها على كتف مايند وأعادته للواقع. قالت سالي:

ـ لم يكن لديك خيارٌ آخر، لقد أنقذتنا جميعاً، فلو أنه وصل لجرس الإنذار لآل مصير المهمة إلى الفشل.

لم يرد مايند عليها لمعرفته بأنها على حقٍّ، لكنه ما يزال يشعر بثقلٍ في ضميره، استدار نحو باب غرفة الخوادم وأطلق تعويذة فتح الأقفال ودخلوا معاً. أخرج مايند الذاكرة الوميضية من حقيبته وأعطاها لسالي التي وقفت عند الخادم الرئيسي مستعدةً لوضعها في المدخل المخصص لها. نظر الجميع للساعة التي تشير إلى الحادية عشرة وثمانٍ وخمسين دقيقةً، بقيت دقيقتان فقط. يقف مايند مواجهاً الباب يحرسه من أي شيءٍ غير متوقع، مرت الدقيقة الأولى كالدهر عليهم وبقيت دقيقةٌ أخرى، تارةً ينظرون لعقرب الثواني الذي يمشي بتكاسلٍ وتارةً ينظرون للأضواء في ترقبٍ خوفاً من انقطاعها في أي لحظة. وصلت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، لكنّ شيئاً لم يحدث! لم تنقطع الطاقة عن غرفة الخوادم، مضت عشر ثوانٍ إضافيةٍ ثم عشرٌ غيرها ولم يتغير شيء.

_ "أيها الأمين، لم تنقطع الطاقة بعد! نحن ننتظر في غرفة الخوادم.": سألت سالي عبر السماعة.

مضت بضع ثوانٍ قبل أن يجيب الأمين:

_ "لا أستطيع التواصل مع فريق سبيرت، ربما قد صادفوا شيئاً غير متوقعٍ أدى إلى تأخرهم قليلاً. ابقوا مكانكم إلى أن يتموا مهمتهم. سأقوم بإرسال الفرقة الثالثة لهم"

بقوا في أماكنهم وتوترهم يزداد ثانيةً بعد أخرى، ودقات قلوبهم تزداد. مضت دقيقةٌ بعد الموعد المحدد ثم أخرى، إلى أن وصلت الساعة الثانية عشرة وأربع دقائق، عندها حدث ما لم يكن في الحسبان بتاتاً، فقد تغير ضغط الجو وصار أثقل، وسمعوا تلك الأغنية:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

تلك الأغنية وذلك الصوت قد حولا قلقهم في لحظةٍ إلى هلع، كان جسد سالي يرتجف بشكلٍ هستيريٍّ حتى أنها أسقطت الذاكرة الوميضية من يدها. تسربت الدماء من تحت فتحة باب غرفة الخوادم وفتحت ساحرة الدماء أراديا الباب ببطءٍ وهي ما تزال تغني. فور دخولها استحوذ الرعب على كل ذرةٍ في كيانهم، بدأ

تنفسهم يصبح أكثر صعوبةً، وأعينهم مفتوحةً حتى أقصاها ومحبتةً عليها، خطت خطواتها ببطءٍ إلى أن وقفت أمام مايند وعندها توقفت عن الغناء، وسد الباب حائطٌ من الدماء، في تلك اللحظة انطفأت أنوار المدينة بالكامل، واشتغلت الأنوار الحمراء للطوارئ ريثما يعمل مولد الطاقة الاحتياطي. إنها اللحظة التي كان ينتظرها فريق مايند، ورغم ذلك لم يستطع أحدٌ منهم التحرك خطوةً واحدة. مدت ساحرة الدماء أراديا يدها أمام مايند بدون أن تتحدث، بيدٍ مرتجفةٍ خلع الحقيبة المليئة بالكتب عن كتفه وأعطاها إياها، ما أن سلم مايند الكتب حتى تناثر حائط الدماء على الأرض، تحرك راغ بسرعةٍ وأمسك سالي من يدها وخرجا من الغرفة مسرعين، بينما ما تزال الساحرة تنظر لمايند، تراجع في خوفٍ وانزلق على الأرض وارتطم رأسه بها، مما جعله يفقد سماعته اللاسلكية. أكملت الساحرة غناءها وهي تتفقد محتويات الحقيبة:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

أخرجت الكتاب الأول "المسخ" وتفقدت عنوانه ثم قامت بتمزيقه، وأخرجت الكتاب الثاني وفعلت الشيء نفسه بعد أن قرأت عنوانه، وفي كل مرةٍ تخرج كتاباً وتمزقه يتضح ازدياد الغضب في صوت غنائها، نهض مايند ببطءٍ واتجه نحو الباب لينجوَ بحياته هو الآخر،

لكنه تذكر عند وصوله إلى الباب جملة الدخان الأبيض في حلمه: "هل ستبقى بيدقاً؟" وتذكر كذلك الجملة التي قرأها في كتاب دوستويفسكي: "وأي لذةٍ تجد في أن تمثل أدواراً ثانويةً؟" توقف عندها وقرر إكمال المهمة ووضع الذاكرة الوميضية في الخادم الرئيسي، ففرصة قيامه بعملٍ يفتخر به قد حانت، بقيت عشرون ثانيةً على إعادة الطاقة عن طريق المولد الاحتياطي. صوت خطواته في بركة الدماء يزيد من قشعريرته. وصل للذاكرة الوميضية وعندما نظر لساحرة الدماء، اكتشف أنها أنهت للتو تمزيق آخر كتابٍ في الحقيبة، توقفت عن الغناء وبدأت تبكي بصوتٍ منخفض. أكمل مايند خطواته نحو الخادم الرئيسي ووضع الذاكرة التي كانت تضيء باللون الأزرق، لم يبقَ الكثير من الوقت فالطاقة قد تعود في أي لحظة، يكاد صبره أن ينفد، غير أن لون الذاكرة قد تحول إلى الأخضر مما يعني اكتمال مهمة اختراق نظام المعرفة الرقمي. لم يتسنّ له الشعور بالراحة فنحيب ساحرة الدماء يعلو أكثر فأكثر. تراجع مايند في خطواته بحذرٍ كي لا يسقط مرةً أخرى أو يستفز الساحرة، ومضت جملة سبيرت في عقله: "كل ما نعرفه أنها تبحث عن كتابٍ ما". اتخذ عندها قراراً لم يعلم لمَ اتخذه في ذلك الوقت، ربما كان يتمنى أن تقوم ساحرة الدماء بقتله لأنه ما زال يشعر بالذنب بسبب قتله التقني. استدار لساحرة الدماء وقال بصوتٍ مهزوز:

ـ م.. م.. ما هو الكتاب الذي تبحثين عنه؟ ربما يمكنني جلبه لك.

توقفت عندها ساحرة الدماء عن النحيب واستدارت لمايند ورفعت طرحتها التي تغطي وجهها، ليبان بياض بشرتها الناعمة وعيناها الغائرتان اللتان اسودت أجفانهما من كثرة البكاء، وقالت بصوتٍ

مخنوق:

_ هل يمكنك إيجاد كتاب "حيث كل خيالٍ حقيقة؟"* (هامش: كتاب كل خيالٍ حقيقة للمؤلف عبد العزيز السيهاتي، يتحدث عن سن وفيرتشو اللذين ينتقلان عبر الأبعاد الكونية مستخدمين جهازاً لوحياً يمكنهما من زيارة البُعد الكوني الذي يريدانه) فإن ابنتي بحاجتي.

الفصل العاشر

(ابنة مورقانا)

في أحد الكتب المنسية منذ زمنٍ طويلٍ جدّاً، حيث كُتبت فيه قصة ساحرةٍ تسمى ساحرة الدماء أراديا. تعيش في عالمٍ يمقت الساحرات، وفي إحدى الممالك المشتهرة بساحراتها، كانت هناك قريةٌ صغيرةٌ ومعدومةٌ تعيش فيها تلك الساحرة التي كانت تبلغ السادسة عشرة من عمرها. تحاول الساحرات دائماً في هذا العالم إخفاء قدراتهن السحرية لعلهن يعشن حياةً طبيعية. لم تكن حياة أراديا مثاليةً لكنها قنوعٌ بما يأتيها من بساطة الحياة، وذلك بسبب أمها "مورقانا" كبيرة ساحرات تلك القرية. فقد زرعت فيها حب نفسها وحب عائلتها وقد كان ذلك كافياً لجعلها تعيش على قدرٍ من السعادة. ورغم ذلك فالسعادة الدائمة لم تكن يوماً من شيم الحياة، إذ إن المملكة التي كانتا تعيشان بها قد دخلت في حربٍ مع مملكةٍ أخرى، وتلك كانت بداية طريقٍ مظلمٍ وصعبٍ لأراديا ذات سحر الدماء الذي يعتبر الأقوى بين جميع أنواع السحر. لم تكن لتلك المملكة فرصةٌ بالفوز لذا لجأ الفرسان الملكيون إلى تجنيد الساحرات، فبعد كل شيءٍ لم يصبحن يوماً كائناتٍ ذات حقوقٍ أو أهميةٍ للمملكة.

في أحد الأيام بينما كانت أراديا تتحدث مع إحدى الفتيات أمام باب منزلها، أتت مورقانا مذعورةً وأمسكت بيد ابنتها وأدخلتها للمنزل.

ـ "ما الذي يحدث يا أمي؟ لمَ يبدو عليكِ الذعر؟:" تساءلت "أراديا"

ـ "ليس لدينا وقتٌ، يجب أن أخبئك في الحال:" أجابت الأم، وهي تبحث عن مكانٍ يمكنها إخفاء ابنتها فيه.

توجهت مورقانا إلى خزانة الملابس العتيقة وفتحت الباب وقالت:

_ ادخلي يا أراديا، إن الفرسان الملكيين قد وصلوا إلى هذه القرية وقد سمعوا عن نوع سحركِ، سيستهدفونك بالتأكيد، ابقي هنا ولا تخرجي مهما حدث.

لم تفهم أراديا الأمر بالكامل لمَ ستكون مستهدفةً؟ لكنّ صوت أمها القلق كان كفيلاً بجعلها تختبئ في الخزانة بدون طرح المزيد من الأسئلة. وفور دخول ابنتها أغلقت باب الخزانة وألقت تعويذةً جعلت الخزانة غير مرئيةٍ. طُرق باب المنزل بقوةٍ ثلاث طرقاتٍ أفزعت مورقانا. لم يتسنّ لها حتى التحرك من مكانها حتى ركل الطارق الباب وكسره وشهر سيفه في وجه مورقانا.

_ "أين هي ساحرة الدماء التي سمعنا عنها؟:" قال قائد الفرسان الملكيين

_ "لقد هربت": قالت مورقانا بصوتٍ مترددٍ ومهزوز.

التفت القائد للفرسان الذين معه وأمرهم بتفتيش المنزل، قلب الفرسان المنزل رأساً على عقبٍ يفتشون في كل مكانٍ إلى أن أعياهم التعب وأراديا صامتةٌ وتراقب من ثقب الخزانة المخفاة، بينما توتر مورقانا يزداد كلما اقتربوا من مكان الخزانة، قال القائد وهو يهم بالخروج:

_ سنجدها مهما حدث

وقبل أن يخرج التفت لاختلاس مورقانا النظر إلى المكان الفارغ

نفسه في المنزل، فعرف عندها أن للسحر دوراً في عدم وجود ساحرة الدماء في منزلها، توقف القائد وعاد للمكان الفارغ الذي نظرت له مورقانا. ضربات قلب الأم تزداد خوفاً من اكتشافهم لابنتها. استل القائد سيفه مرةً أخرى ورفعه محاولاً ضرب المكان الفارغ، إلّا أن مورقانا وقفت حاجزاً بينهما فأصابها السيف، كل ذلك يحدث وأراديا تراقب من ثقب الباب. لم تستطع تمالك نفسها عندما رأت والدتها تسبح في دمائها، خرجت مسرعةً من الخزانة وهي تصرخ:

_ أمي .... سأنقذكِ يا أمي.

ارتمت أراديا في حضن أمها تبكي، ربتت مورقانا على رأسها وهي تغني الأغنية التي اعتادت غناءها لها في صغرها:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "مورقانا"

ظلت تغني لتهدئة ابنتها إلى أن انطفأ بريق عينيها، بينما أراديا تنوح لفقد أمها. أمر قائد الفرسان أحد أتباعه بحمل أراديا لإرسالها لجبهة القتال فوراً، وما أن مسكها الفارس حتى خرج من دماء مورقانا رمخ من الدماء وطعن الفارس. استدارت لهم أراديا ونظرات الكراهية تشتعل في عينيها، كانت متيقنةً بأنها لن تستطيع هزيمتهم جميعاً، فأعدادهم كانت أكبر من أن تنتصر قبل أن تنفد قواها

السحرية. قتلت بعضهم إلى أن سقطت مغشيّاً عليها من نقص القوى السحرية في جسدها، لكنها تيقنت قبل سقوطها من أن تحفظ وجوه جميع الموجودين.

تم إرسالها إلى حدود المملكة لتقاتل مجبرةً مع الكثير من الساحرات الأخريات. لكن أراديا كانت متميزةً في قتل كل ما يقف في طريقها، ذاع صيتها في ساحة المعركة. أراد الفرسان الملكيون استغلال قواها تلك لهزيمة جيش العدو نفسيّاً. فكان لا بد لهم من أن يصنعوا لها شخصيةً مميزة، فكان لازماً عليها ارتداء الملابس السوداء ذات الطرحة المخرمة، ونشروا عنها الإشاعات بأن موت من يصادفها محتّمٌ، عُرفت أراديا خلال السنوات الثلاث التي قضتها في جبهة الحرب بـ "عروس الموت الأسود"، كان ذلك اللقب وحده يبث الرعب في نفوس العدو، ورؤيتهم لها في ساحة المعركة تجعلهم يفرون منها. ومع ذلك فإن أراديا لم تكن تقتل جيش العدو فقط، فبين الحين والآخر تتسلل أراديا إلى خيمة أحد الفرسان الذين حاصروا منزلها وتقتله بأبشع الطرق. كان قادة الجيش يعرفون عن ذلك الأمر إلّا أنهم لا يستطيعون فعل شيءٍ لها فاسمها وحده يجعل فرائص العدو ترتعد. لكن حياة الانتقام التي عاشتها تغيرت بعد انتهاء الحرب. أمر الفرسان الملكيون فوراً بسجنها، وبقيت في السجن لستة أشهرٍ وكراهيتها وإصرارها على الانتقام يزدادان، حتى رآها أمير المملكة في السجن عندما كان في جولةٍ تفقديةٍ وأعجب بها وتزوجها. كانت مجبرةً على الزواج، لكنها استغلت ذلك خير استغلالٍ، فقد أعدمت في سنةٍ واحدةٍ أكثر من ثلاث مائة فارسٍ بصفتها زوجة الأمير. كان الأمير متيماً بها رغم كرهها له،

فكانت تفلت بأي فعل تفعله، وذلك ما زاد كراهية الوزراء لها. إلّا أنها تركت الانتقام عندما حملت بطفلتها وولدتها، أصبحت ترى شيئاً غير الانتقام، فقد أصبحت أمّاً وعليها التركيز على طفلتها. بعد أربع سنواتٍ وبينما هي في القصر الملكي تلاعب طفلتها أتى الأمير من بعثةٍ خارجيةٍ متشوقاً إلى زوجته وابنته، وما أن رأت الصغيرة والدها حتى أسرعت لاحتضانه، في تلك اللحظة استيقظت قوى الطفلة السحرية لأول مرةٍ وهي في حضن والدها. كانت قدرة الطفلة هي التلاعب بأشكال الحياة، وسعادتها لرؤية والدها قد ساهمت في تحرير تلك القوى، لم تكن تعلم أنها تمتص حياة والدها، إلى أن سقط كجذع شجرةٍ خاوية. استنفر الحرس وحاشية الأمير لإنقاذه، إلّا أن أراديا فهمت ما حدث سريعاً، وحملت ابنتها وانطلقت هاربةً خوفاً عليها، فبعد موت الأمير لا يوجد ما يضمن سلامتها وسلامة ابنتها. كانت تتنقل من قريةٍ إلى أخرى مختبئةً إلى أن حل يومٌ سمعت فيه طرقاً على باب الكوخ الذي تسكن فيه، علمت بأن الفرسان قد أتوا للنيل منها ومن ابنتها، خبأت ابنتها تحت السرير ووقفت على مسافةٍ من الباب لقتل أي شيءٍ يدخل منه. عندها ظهر نورٌ قويٌ غطى كل شيءٍ وسمعت صوتاً يقول:

_ اخرجي يا ساحرة الدماء أراديا

ما أن انقشع الضوء حتى وجدت نفسها في مكانٍ لا تعرفه، تحاول التحرك إلّا أن جسدها يأبى الانصياع لها، وعلى مقربةٍ منها يقف شخصٌ يحمل كتاباً مصنوعاً من جلد البشر ومكتوباً عليه بالدماء: "ساحرة الدماء". لم تستطع فهم ما يجري وكل ما كانت تفكر فيه هو أين هي ابنتها، فالفرسان كانوا سيقتحمون ذلك الكوخ ويقتلون

صغيرتها، نظرت حولها لتجد بعض الجثث وأشخاصاً يتقاتلون فيما بينهم، بعضهم يحمل كتباً تخرج منها مخلوقاتٌ وأشخاص بعيدون كل البعد عما في عالمها! ألقى عليها صاحب الكتاب الجلدي أمراً بقتل الأشخاص الذين أمامها فتحركت بدون إرادتها وشاركت في قتالٍ لا يخصها بشيءٍ، كانت تصرخ من الداخل: "أين ابنتي؟" "أرجوكم سأفعل أي شيءٍ، أريد ابنتي"، ورغم ذلك لم يخرج منها أي صوتٍ وكأن وعيها محبوس في جسدها. أصابت قذيفةٌ حامل الكتاب الجلدي وسقط الكتاب على الأرض وانغلق، في تلك اللحظة استطاعت أراديا التحرر من القيد الخفي الذي كان يقيدها، لم تكن تملك الوقت لفهم ما يجري، استخدمت الدماء المتناثرة على الأرض وأخرجت منها عصياً مدببةً دمويةً وقذفتها باتجاه كل شخصٍ حيٍّ في ذلك المكان، حائرةً تنظر لعالمٍ مختلفٍ تماماً عن عالمها، تحيطها الجثث والدماء. تلتفت محاولةً إيجاد دليلٍ واحدٍ يمكنها من خلاله العودة إلى ابنتها. وكانت كلما حدقت في شيءٍ شعرت بمدى اختلافها عن هذا العالم، شعرت بيأسٍ شديدٍ حتى سقطت على الأرض وتكورت على نفسها تضم جسدها بيديها وتجهش بالبكاء وهي تصيح:

_ ابنتي الصغيرة!

بقيت تبكي وتنوح لساعاتٍ بدون حراكٍ وهي تفكر فيما قد حل بابنتها، إلى أن تنبهت لصوتٍ قريبٍ منها، رفعت رأسها لترى دخاناً أبيض متشكلاً على هيئةٍ بشريةٍ يمسك بالكتاب الجلدي ويقرأ فيه، أطلقت عليه فوراً عصياً مدببةً من الدماء إلّا أنها اخترقته ولم يحرك ساكناً، عندها قال:

ـ يا لكِ من مسكينةٍ! إذاً اسمكِ ساحرة الدماء أراديا، لا تقلقي سأخبرك بما يجري وسأعلمكِ بالطريقة التي تعودين فيها لابنتكِ، ما سأقوله سيصعب عليكِ تصديقه، لكنك مجرد شخصيةٍ في هذا الكتاب، وقد قام أحد حملة الكتب بإخراجكِ منه في اللحظة التي هجم عليكم الفرسان فيها، لكن قصتك لا تنتهي هنا، فبعد هجوم الفرسان حدث الكثير، ولن أخبركِ بما حدث، لكن، سأخبركِ بكيفية العودة. أولاً يجب عليك أخذ هذا الكتاب وإخفاؤه جيداً، فلا أحد يستطيع تدميرك ما دام الكتاب سليماً، فأنتِ خالدةٌ الآن في هذا العالم، ثانياً، يجب عليكِ إيجاد كتابٍ يدعى: "حيث كل خيالٍ حقيقة" ففيه جهازٌ يسمح لك بالانتقال بين العوالم، وبه يمكنك العودة لعالمك داخل الكتاب في اللحظة التي خرجتِ منها. ثالثاً تحتاجين حامل كتبٍ لإخراج الجهاز من الكتاب.

لم تستوعب أراديا نصف ما قاله، ومع ذلك شرح لها الدخان الأبيض الأمر من جديدٍ وكيف أن الشخصيات في هذا العالم تخرج من كتبٍ سحريةٍ، وأن حياتها كانت عبارةً عن قصةٍ ابتكرها أحد الكتاب في يومٍ ما. رغم المشاعر المختلطة التي أصابت أراديا إلّا أن إنقاذ ابنتها كان المحرك الوحيد لها في ذلك الوقت، فأخذت الكتاب من الدخان الأبيض وكلها عزمٌ على الرجوع لابنتها حتى لو أفنت سكان هذا العالم أجمعين! وفي ذلك الوقت بدأت رحلة ساحرة الدماء للبحث عن كتاب "حيث كل خيالٍ حقيقة".

الفصل الحادي عشر

(سقوط سبيرت)

بعد أن انفصلت فرقتا مايند وسبيرت، اتجه كلٌّ منهما نحو هدفه، تقدمت فرقة سبيرت بحذرٍ نحو مركز الطاقة الرئيسي في المدينة الحديدية، وبعد ما يقارب عشر دقائق سمعوا عن طريق السماعات اللاسلكية وصول فريق مايند إلى وجهتهم. وبعد ثماني دقائق أعلنت سبيرت عن وصولهم لمركز الطاقة الرئيسي، ثم أتبعت وقالت عبر السماعات اللاسلكية:

_ سنباشر الدخول على الفور كما اتفقنا، سينقطع الإرسال فور دخولنا إلى أن ننهي المهمة، عندها أجاب مايند:

_ توخي الحذر يا سبيرت

كادت سبيرت أن تجيبه لكن نظرات ليسا وقالي كانت مُركزةً على سبيرت وكأن نظراتهما تقول: "كم أنتما لطيفان بعضكما مع بعض، يجب أن تكونا معاً"، احمرت وجنتا سبيرت خجلاً وقررت عدم الرد عليه علناً أمام الجميع إلّا أنها همست في نفسها:

_ وأنت أيضاً يا مايند، غد سالماً

إن مركز الطاقة الرئيسي مبنىً مهمٌ جداً في المدينة، والحراسة المشدّدة عليه تجعل من الصعب اختراقه أو الهجوم عليه، ويجب عليهم الوصول إلى المولد الرئيسي لتعطيله. أخرجت سبيرت كتاباً من حقيبتها الصغيرة وفتحته وقالت:

_ اخرج أيها الضباب

اندفع ضبابٌ كثيفٌ خارجاً من وسط الكتاب وطوق مبنى الطاقة الرئيسي. لذلك الضباب خاصيتان، الأولى أنه فور دخولك إليه

فإنه يمنع أي إشارةٍ من الدخول أو الخروج، وذلك سبب إعلان سبيرت بأن الاتصال سينقطع بينها وبين الفرق الأخرى، وهي ميزةٌ ستكون في مصلحتهم أيضاً، فمن الصعب الهجوم على أعداد الحراس الكبيرة في وقتٍ واحدٍ ومنعهم من إرسال نداء استغاثةٍ للقوات الرئيسة لمنظمة المصدر العالمية، ورغم ذلك فإن الضباب سيقوم بالمهمتين معاً، وذلك أيضاً بسبب خاصيته الأخرى وهي أن الضباب مليءٌ بالوحوش غير المعروفة، والتي تفتك بالأشخاص الموجودين بداخله. لم تمضِ سوى لحظاتٍ منذ أن تغلغل الضباب في المبنى حتى تعالت صرخات الجنود بداخله. انتظرت فرقة سبيرت لدقيقتين ثم هموا بالدخول رغم كثافة الضباب، لكن طريقهم لم يخلُ من جثةٍ أو اثنتين من جثث جنود منظمة المصدر كلّ بضعة أمتارٍ. اقتحموا المبنى بكل سهولةٍ ويسرٍ، وتمكنوا من الوصول للغرفة التي تحتوي على المولد الرئيس، بقيت ثلاث دقائق حتى منتصف الليل، كانوا على أهبة الاستعداد وينظرون لساعاتهم بانتظار بدء الوقت المحدد، سمعت سبيرت صوت صراخ قالي خلفها وفور استدارتها نحوه كان قد اختفى ولم تجده.

_ "ليسا ما الذي حدث؟ أين قالي؟": قالت سبيرت

_ "لا أعلم لقد اختفى فجأةً": قالت ليسا في ذعرٍ!

حاولت سبيرت معرفة ما الذي حدث وهي تنادي باسم "قالي" لعله يجيبها، وعندها سمعت صراخ ليسا، استدارت سبيرت لرؤيتها فوجدتها تُسحب بعيداً إلى أن تلاشت داخل الضباب. عرفت عندها سبيرت بوجود شيءٍ في الضباب يحاول الفتكَ بهم. ما الذي يمكن أن يكون ذلك الشيء؟ من المستحيل أن تكون الوحوش التي

خرجت من كتابها مع الضباب، فتلك الوحوش تأتمر بأمر سبيرت ما دام الكتاب مفتوحاً في يدها، إذاً هو شيءٌ من خارج الضباب، لكن فكرت سبيرت بأنه لا يوجد شيءٌ طبيعيٌ يمكنه مواجهة الضباب والوحوش التي بداخله! وكلما فكرت في الأمر وتعمقت في التحليل ازداد توترها. ما الذي يوجد في ذلك الضباب اللعين؟ لم تجد حلّاً آخر سوى إرجاع الضباب إلى الكتاب لتتضح لها رؤيته. رفعت الكتاب أمامها لتأمر الضباب بالرجوع، إلّا أن كفّاً غير بشريةٍ قادمةً من الضباب باغتتها ودفعتها وأطاحت بها. كان من الممكن لسبيرت تفادي تلك الضربة لكنها ركزت على إبقاء الكتاب مفتوحاً، لأنها لو أسقطت الكتاب وأُغلق بالخطأ فإن الوحوش ستملك وعيها الخاص، وستكون فرصة نجاتها من ذلك المكان معدومةً، اصطدم رأسها بالأرض جراء سقوطها، وسقطت السماعة اللاسلكية من أذنها، نهضت على عجلٍ دون أن تلتقط السماعة، وقالت:

_ غد أيها الضباب

بدأ الضباب والوحوش الموجودة فيه بالعودة إلى الكتاب، وصُدمت عندما تعرفت على الشخص الواقف أمامها، والذي يحمل كتاب "الأساطير الإغريقية" وبجانبه الكلب ذو الرؤوس الثلاثة "سيربيروس"* (هامش: سيربيروس هو كلبٌ ضخمٌ ذو ثلاثة رؤوسٍ في الأساطير الإغريقية، يحرس بوابة العالم السفلي بأمرٍ من الإله هاديس. يحكى في بعض الأساطير أن رؤوسه الثلاثة تمثل الماضي والحاضر والمستقبل) لم تتوقع سبيرت أنها ستقابل أحد معارفها القدامى عندما كانت تعمل في منظمة المصدر العالمية، وليس أي شخصٍ بل القائد الحالي لحملة الكتب لدى المنظمة، ويدعى زارا

الملقب بـ "سيد الوحوش" والذي كان يتنافس مع سبيرت لنيل لقب القائد. إن زارا شخص نحيفٌ جدّاً وذو طولٍ معتدلٍ ويملك بشرةً شاحبةً، صوته الغليظ مميزٌ بشدة، وهو مهووس بقراءة الكتب التي تتحدث عن الوحوش الأسطورية القديمة، ولذلك السبب تمّ تلقيبه بسيد الوحوش. إن العلاقة التي كانت بين زارا وسبيرت معقدةٌ قليلاً، فقد كانا صديقين في طفولتهما، إلّا أنهما تحولا إلى غريمين عند كبرهما، وذلك بسبب أنهما كانا موهوبين ومرشحين لقيادة حملة الكتب في منظمة المصدر العالمية.

قال زارا وهو يربت على الكلب سيربيروس:

_ من الحماقة يا سبيرت أن تستخدمي الضباب بهذا الشكل، وكأنكِ تعلنين عن وجودك بكل وقاحةِ أيتها الخائنة!.

كان عقل سبيرت يجري الكثير من السيناريوهات في محاولةٍ منها للخروج من هذا المأزق، فهي لم تتوقع أن تقابل أحد حملة الكتب في مهمتها أبداً، والأسوأ هو مقابلة سيد الوحوش الذي يملك ترسانةً من المخلوقات الأسطورية في الكتب التي يحملها، بالإضافة إلى أن الوقت ينفد منها ولا يمكنها الفشل في مهمتها. جال في عقلها شبح فكرةٍ، وبمعرفتها بمدى غرور وكبرياء زارا فقد كان نجاح خطتها بأن يعيد سيربيروس إلى الكتاب شبه مضمونٍ، مما سيتيح لها فرصة تدمير مولد الطاقة الرئيسي.

قالت بعد أن أخرجت كتاباً وفتحته:

_ لم أركَ منذ وقتٍ طويلٍ أيها الضعيف، هل أتيت لكي ألحِق بك هزيمةً أخرى، فإن لم تخني ذاكرتي فآخر نزالٍ كان بيننا، كانت

النتيجة 9 مرات فوزٍ لي مقابل 6 مراتٍ لك.

تجهّم وجه زارا وقد امتلأت عروق وجهه بالدم، واحمرت وجنتاه غضباً عند سماعه كلماتها، فقد اعتاد الاثنان المبارزة لإثبات جدارتهما ومهاراتهما لقيادة حملة الكتب الخاصين بمنظمة المصدر العالمية. أتبعت سبيرت كلامها:

_ اخرج يا كيساكي موروها زوكوري* (هامش: كيساكي موروها زوكوري هو أحد أنواع سيوف الكاتانا الخاصة بمحاربي الساموراي، يتميز بنصله ذي الحدين حيث يمكنه القطع بالاتجاهين)

ما أن أنهت كلماتها حتى خرج مقبض السيف من الكتاب الذي تحمله، أمسكت المقبض وسحبت السيف من وسط الكتاب ثم أغلقته لتتحقق من أن السيف لن ينكسر في النزال، ثم قالت بنوعٍ من الاستهزاء:

_ هل ما زلت تريد إثبات أحقّيتك بقيادة حملة الكتب؟

لم يتحدث زارا بل تراجع ووضع الكتاب الذي في يده على الأرض ليبقى مفتوحاً ثم أخرج كتاباً آخر وقال:

_ اخرج يا أكسكاليبر* (هامش: هو سيفٌ أسطوريٌ يستخدمه الملك آرثر الشهير في الأساطير الويلزية).

بعد أن أخرج السيف من الكتاب، أغلقه ورماه بعيداً فهو ليس بحاجةٍ ليعيد السلاح إلى الكتاب بما أن السلاح لا يملك وعياً بذاته، وبهذه الطريقة سيصبح السلاح غير قابلٍ للتدمير كما فعلت سبيرت. انقض فوراً لمهاجمة سبيرت إلّا أنها استطاعت تفادي تلويحات سيفه

برشاقة، وقفت بعيدةً عنه وقالت لاستفزازه:

_ستبقي كلبك لحراستك. إنه التصرف المتوقع من الشخص الذي يتوقع الخسارة. كانت سبيرت تعرف كيف تعزف على أوتار كبريائه جيداً. تراجع زارا وهو يوجه السيف ناحية سبيرت إلى أن وصل لكتاب "الأساطير الإغريقية" الذي تركه على الأرض، وفي اللحظة التي أبعد فيها حدقتي عينيه عنها، سحبت من حقيبتها كتاب ذات الجناحين القرمزيين، لكنها لا تملك الوقت الكافي لإخراج شخصيةٍ منه ففكرت بحلٍّ بديلٍ وأكثر سرعةً وقالت:

_ أطلق يا تنين البرق* (هامش: تنين البرق من رواية ذات الجناحين القرمزيين هو تنينٌ يمكنه إطلاق شحناتٍ كهربائيةٍ قويةٍ جداً)

دافع زارا عن وجهه بكلتا يديه بصورةٍ غريزيةٍ إلّا أن الطلقة الكهربائية لم تصبه، فقد كانت سبيرت توجه الطلق نحو المولد الرئيسي الذي سرعان ما انفجر وقذف بالاثنين بعيداً. أصبحت رؤية سبيرت ضبابيةً بسبب اصطدام رأسها بالأرض، كانت تنزف من رأسها واحترق جانبها الأيمن بشكلٍ طفيف. شعرت بدوارٍ مؤلمٍ في رأسها، لكن يجب عليها النهوض والهرب سريعاً. حاولت النهوض مراراً وفشلت في كل مرةٍ بسبب ألمها الكبير جراء اصطدامها بالأرض. بدأت بالزحف على بطنها شيئاً فشيئاً محاولةً الوصول للباب، ومع ذلك فهي غير متيقنةٍ من الاتجاه الذي يجب أن تسلكه بسبب تشوش بصرها، وعليها الإسراع فهي لا تضمن أن تبقى واعيةً لفترةٍ طويلة. سمعت زارا يقول بصعوبة:

ـ لن تهربي أيتها الخائنة، سيربيروس أمسك بها

حاولت سبيرت الإسراع في زحفها لكن سيربيروس وضع يده الأمامية على ظهرها وثبتها إلى الأرض. صرخت وهي تحاول أن تخلص نفسها من قبضة سيربيروس، وكلما تحركت أكثر شعرت بأن الظلام يحوطها أكثر، وبأن وعيها يتضاءل شيئاً فشيئاً، وآخر ما سمعته قبل أن تفقد وعيها كان:

ـ لولا أن القائد الأعلى يريدك حيةً لقتلتك هنا والآن.

الفصل الثاني عشر

(حيث كل خيالٍ حقيقة)

عادت الطاقة إلى المدينة الحديدية بالكامل، وأُضيئت الأنوار في غرفة الخوادم حيث يقف مايند وساحرة الدماء "أراديا"، رغم أن الساحرة لا تثق في أحدٍ أبداً سوى نفسها، ومع ذلك فقد طلبت المساعدة من مايند عندما توقف لسؤالها عن الكتاب الذي تبحث عنه، ربما لشعور اليأس المتزايد الذي لازمها طوال أربعين عاماً منذ خروجها من الكتاب، أو ربما لأن مايند هو أول شخصٍ يعرض عليها المساعدة منذ أكثر من ثلاثة عقودٍ، لكن الشيء الأكيد بالنسبة لها هو أنها تعرف في أعماقها أنها تحتاج للمساعدة، فانعزالها واعتمادها على نفسها طوال تلك السنين لم يأتِيا بأي نتيجة. خرجت الكلمات من فم ساحرة الدماء لتحكي قصتها لمايند بسبب رغبتها في الحصول على الكتاب الذي تبحث عنه، ورغم تأثر مايند بقصة الساحرة أراديا ومع ذلك هناك شيئان لفتا انتباهه، الشيء الأول هو الدخان الأبيض ذو الهيئة البشرية الذي أخبر الساحرة عن كتاب "حيث كل خيالٍ حقيقة"، وكيف يمكنها الرجوع لعالمها داخل الكتاب، فبحسب وصف أراديا له فهو كالدخان الذي رآه في حلمه، والذي تسببت كلماته في سلسلةٍ من قرارات مايند بأن ينضم إلى جماعة أبناء الحرية. أما الأمر الثاني الذي لفت انتباهه فهو فكرة أن الشخصيات التي يخرجونها من الكتب لها حياتها الخاصة، لها مشاعرها وأحلامها. لم يفكر يوماً منذ أن وصل إلى مكتبة الأكاشا بذلك الأمر، فطالما تمّ استخدامها كأدواتٍ ولا يعتبرها أحدٌ شخصياتٍ حقيقيةً. تساءل في نفسه عن صحة الطريقة التي يتبعها أبناء الحرية لتحرير المجتمع من الحصار الفكري المقام من قبل منظمة المصدر العالمية، هل سيكون ثمن الحرية الفكرية التي يصبون لها هو استعباد شخصيات الكتب واستغلالهم؟ شعر بأنه ربما

يجب عليه إعادة التفكير في الطريقة التي ينتهجها أبناء الحرية، لكن الوقت الآن غير مناسبٍ للغوص في تلك الأفكار فعليه الهرب بعد أن عادت الأضواء، فبالتأكيد أن أعضاء منظمة المصدر سيستنفرون بعد تدمير مركز الطاقة الرئيسي والتلاعب في نظام شجرة المعرفة الرقمي الخاص بهم. قال مايند مخاطباً الساحرة:

_ أعدكِ بأن أجد لكِ الكتاب وسأكون حامل الكتب الذي يُخرج الجهاز منه ويتحقق من عودتكِ لابنتكِ.

لم يعلم مايند ما الذي دفعه لقطع وعدٍ كهذا على نفسه، فهو لم يسمع بالكتاب من قبل ولا يعلم أين يمكن له إيجاده، ربما دفعه إلى ذلك رغبته في أن ينظر للشخصيات التي تخرج من الكتب كبشرٍ وليس كأدوات. أطلقت ساحرة الدماء أراديا تنهيدةً وهي تضع يديها على عينيها لتخفي دموعها، فتلك المرة الأولى التي تشعر فيها بأن هناك شخصاً يحمل معها ثقل همومها، بقيت صامتةً على تلك الحالة، عندها قال لها مايند:

_ كيف أستطيع إيجادكِ عندما أجد الكتاب؟

رفعت الساحرة رأسها وقالت:

_ غنّ هذه الأغنية، سأسمعك ولو كنتُ في أقاصي الأرض، وسآتي إليك في الحال:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

أومأ مايند برأسه بالإيجاب وانطلق مسرعاً للخروج من مبنى خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي، وفي رأسه الكثير من الأسئلة والأفكار، أين ذهب زاغ وسالي؟ هل انتشر أعضاء منظمة المصدر العالمية في المدينة الحديدية بعد هجومهم عليها؟ وما الذي حدث مع فريق سبيرت، وما سبب تأخرهم في إتمام مهمتهم؟ أوه سبيرت!!! ما الذي جرى معها؟ تذكر عندها أنه لا يستطيع التواصل معها بعد أن فقد سماعته اللاسلكية، لا يمكنه العودة الآن بعد أن خرج فهو لا يضمن بقاء المكان خالياً من أعضاء المنظمة. واصل سيره بحذرٍ وهو يختبئ بين مباني المدينة الحديدية، وكما توقع فإن أعضاء المنظمة أصبحوا منتشرين في المدينة هم ومخلوقات الفلافي بافي التابعة لهم، واصل مايند التقدم بحذرٍ واضعاً مركز المدينة نصب عينيه، فقد كانت الخطة المتفق عليها هي أنهم بعد أن يتموا مهامهم يعودون للاجتماع عند التماثيل الثلاثة والالتحاق بالفرقة الثالثة التي بقيت تنتظرهم هناك، ثم العودة معاً لمكتبة الأكاشا السحرية. استرق مايند النظر وهو خلف أحد جدران زقاقٍ يُطلُّ على مركز المدينة، كان رجال منظمة المصدر العالمية يملؤون المكان أيضاً ولا يوجد أثرٌ للفرقة الثالثة ولا لفرقة سبيرت، "ما هي الاحتمالات الممكنة؟": هذا ما طرأ على تفكيره، "هل من الممكن أنهم وصلوا جميعاً إلى هنا وغادروا باتجاه مكتبة الأكاشا عندما تأخر مايند في القدوم؟" أم أن مكروهاً حصل لهم، ولهذا هم غير موجودين في مكان اللقاء؟" ربما "قد قبض عليهم أعضاء منظمة

المصدر العالمية!" في تلك الحالة يجب مساعدتهم قبل أن يتمكنوا من حجزهم في السجن حيث سيكون من الصعب إخراجهم. إلّا أن مايند كان لا يملك ولو كتاباً واحداً معه بعد أن مزقت ساحرة الدماء جميع الكتب التي كان يحملها. لم يكن هناك خيار سوى أن يعود لمكتبة الأكاشا لعله يجد إجاباتٍ على الأسئلة التي تتصادم في فكره، بخطواتٍ خفيفةٍ وحريصةٍ بدأ يبتعد عن مخرج الزقاق ويعود أدراجه ليتمكن من الوصول إلى الطريق المؤدي لمكان مكتبة الأكاشا، وعندما وصل إلى مفترق طرقٍ أثناء عودته سمع أحدهم يقول:

_ توقف!

أدار مايند رأسه ليرى أحد أعضاء منظمة المصدر العالمية يتقدم نحوه مع الفلافي بافي الخاص به، شعر مايند بتسارع نبضه وهو يقبض على كلتا يديه، ما الذي عليه فعله الآن؟ هل تعرف أحدٌ عليه؟ لا يمكن ذلك فهو يضع لثاماً على وجهه، ربما هناك أمرٌ آخر، وصل الرجل إلى مايند وقال له:

_ إن الوقت متأخرٌ جداً وهناك الكثير من المخربين يرجى العودة إلى مسكنك حفاظاً على سلامتك.

بدا الارتياح على وجه مايند وأومأ برأسه بالإيجاب، وما أن تحرك خطوةً واحدةً حتى سمع صوت الفلافي بافي، نظر الاثنان إلى ذلك المخلوق ليجدا أن لونه قد تحول للأحمر، وخرجت أنيابه وهو ينظر لمايند، فقد شم رائحة الكتب التي استعملها مايند والتي ما تزال عالقةً في يده، أخرج عضو المنظمة هراوته فور رؤيته لحيوانه الأليف غاضباً، وكاد أن ينهال بها على رأس مايند لولا أن مايند سارع

بلكم عضو المنظمة وفر هارباً ومخلوق الفلافي بافي يلحق به. ركض مايند بأقصى سرعةٍ ورمى كل شيءٍ يمر بجانبه كحاويات القمامة والكراسي لتعيق تقدم الفلافي بافي المسعور، توقف عندما شارف على الوصول للمكتبة وهو يلهث وتحقق من أن الفلافي بافي قد أضاعه، مشى عندها بخطواتٍ متعثرةٍ إلى أن وصل لمكتبة الأكاشا وفتح الباب مندفعاً، وجد الأمين واقفاً وعلى وجهه علامات الذعر بجانب تمثال بروميثيوس، ويضع إحدى يديه على الشعلة مستعدّاً لنقل مكتبة الأكاشا السحرية إلى مكانٍ آخر بينما يمسك في يده الأخرى كتاب الكوميديا الإلهية مفتوحاً. تقدم مايند وهو ما يزال يلهث وقال:

_ ألم يأتِ أحدٌ؟

بدا الارتياح على الأمين عندما رأى أن الذي دخل كان مايند، فأغلق الكتاب وابتعد عن التمثال وقال:

_ لا لم يأتِ أحد، لم يجبني أحدٌ من فرقتكم بعد انقطاع الطاقة، وبالنسبة لمجموعة سبيرت لقد فقدنا التواصل معهم منذ أن دخلوا إلى مبنى الطاقة الرئيسي. بعد أن تأخروا في قطع الطاقة أرسلت فرقة الدعم الثالثة لهم، وما أن أخبروني بوصولهم إلى هناك حتى سمعت صرخاتهم ونباح كلاب، لا أعلم ما الذي حدث لهم! لكني أعتقد أنه على الأغلب قد تم مهاجمة الفرقة الثانية والثالثة من قبل أعضاء المنظمة، إذاً أخبرني هل أتممتم المهمة؟ وما الذي حدث مع من كانوا معك؟

تشتت عندها ذهن مايند وغرق في أفكاره عندما أعاده سؤال

الأمين مرةً أخرى:

_ هل أتممتم المهمة؟

أجاب مايند:

_ نعم .... نعم

ابتسم الأمين ابتسامة انتصارٍ كبيرةً، ثم تلتها ضحكاتٌ وقهقهاتٌ هستيريةٌ وهو يقول:

_ أخيراً .... أخيراً سددت ضربةً موجعةً لهم انتقاماً لما فعلوه، هل رأيت يا أبي؟ سأوفي بوعدي لكَ مهما طال الزمن ....

غضب مايند وصرخ في وجه الأمين:

_ ما الذي تقوله؟ دعك من هذا الكلام الآن، يجب أن نذهب لننقذ الآخرين.

هدأ الأمين وأجاب بوجهٍ خالٍ من التعابير:

_ لا شيء يضمن أنهم ما زالوا أحياء، لن نجازف بأرواحنا من أجل شيءٍ غير مؤكد، سننقل مكتبة الأكاشا السحرية على الفور إلى أن تهدأ الأوضاع ونرى تأثير ما فعلناه على المجتمع، ثم نعود بهجومٍ جديدٍ عليهم.

صُدم مايند لسماعه كلمات الأمين، وكأن جميع أبناء الحرية لا يعنون له شيئاً، وكل ما يحوز على تفكيره هو تدمير منظمة المصدر بأي ثمنٍ كان! حتى لو كان ذلك الثمن أرواح الجميع، قال مايند بغضبٍ شديد:

_ سحقاً لك ولتفكيرك! سأذهب لمساعدة سبيرت، نحن أبناء الحرية لا يوجد لدينا هدفٌ أهمُ من أرواح الأعضاء أيها الأمين!

_ "إن الغاية تبرر الوسيلة"* (هامش: جملةٌ مشهورةٌ تنسب إلى ماكيفيلي) يا مايند، لا أحد يستطيع الوصول إلى غايةٍ عظيمةٍ إن لم يكن مستعدّاً لتقديم بعض التضحيات.

قال مايند بانفعال:

_ وهل تلك الوسيلة والتضحيات هم أبناء الحرية؟ إذا كانت غايتك بتلك الأهمية فضحِّ بنفسك أنت!

لاحظ الأمين أن باب المكتبة ما زال مفتوحاً بعد دخول مايند، فاتجه للباب ليغلقه وهو يقول في هدوءٍ وشيءٍ من الإذعان لكلام مايند:

_ لو افترضنا أننا نريد مساعدتهم فهل سنستطيع فعلاً؟ كيف ستساعد شخصاً قد فارق الحياة؟ إن إهدار حياتك لن يعيدهم أو يفيدهم بشيءٍ.

_ لا يوجد ما يثبت أنهم ماتوا:

قال مايند ذلك واتجه نحو أحد الرفوف وأخرج كتاباً وفتحه وقال:

_ اخرجي يا أيتها العرافة إزميرالدا* (هامش: إزميرالدا هي عرافةٌ غجريةٌ في رواية سفاح الجبل الأسود للكاتب محمد الربح)

خرج من وسط الكتاب غبارٌ كثيفٌ وكون العرافة الغجرية إزميرالدا، سألها مايند وعلى وجهه الخوف من الإجابة التي

ستعطيها له:

_ ما هو مصير سبيرت أيتها العرافة؟

أجابت بعد أن أغمضت عينيها لبضع ثوانٍ وكأنها تتواصل مع شيءٍ غير مرئي:

لقد حُبِست

بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ

بين جدرانٍ وأزمانٍ

بين البقاء وبين الرحيل

بين رعبٍ وأساطيرَ ووحوشٍ

هل ستبقى مخلصةً أم تعود

ذلك قرارها هي؟

تبدلت ملامح مايند القلقة إلى شيءٍ من الراحة بعد أن عرف أن سبيرت ما زالت بخير، ثم نظر للأمين نظرةً حادةً وقال:

_ لا عذر لك الآن، فكما قالت العرافة إنها حبيسة.

تنهد الأمين فلم تكن تلك الإجابة التي كان يريد سماعها، فهو لا يريد لمايند الذهاب وأن يفقد حامل كتبٍ آخر غير سبيرت، فقال:

_ لديك 12 ساعةً فقط، فإن لم تعُد فسأقوم بنقل المكتبة بك أو بدونك.

جمع مايند بعض الكتب التي قرأها سابقاً بسرعةٍ ووضعها في

الحقيبة الخاصة بأبناء الحرية، وخرج وهو يقول:

_ سأعيدها حتماً أيها الأمين.

بعد أن غادر مايند توجه الأمين إلى جهاز حاسوبٍ كان قد وضعه مسبقاً في المكتبة ليرى هل حدثت كل التغيرات التي وضعوها في نظام شجرة المعرفة الرقمي؟ بدأ بالنقر على بضعة أزرارٍ عندما سمع صوت القط الكمي يموء بعدائية، نظر الأمين باتجاهه ليراه يقف بشكلٍ عدوانيٍ وفروه واقفٌ، بينما ينظر تحت المقعد الدائري في منتصف المكتبة. ما الذي يثير فزع الكمي؟ توقف الأمين مكانه بقلقٍ وهو يحاول استيعاب ما يجري، يحلل الأحداث التي حدثت منذ مجيء مايند إلى خروجه. تذكر باب المكتبة المفتوح الذي تركه مايند عند دخوله، هل يعقل أن شيئاً استطاع الدخول بينما كان نقاشهما يحتدم؟ ارتفعت دقات قلب الأمين، واقترب بخطواتٍ حذرةٍ إلى أن وصل عند القط، فر القط هارباً فور وصول الأمين، انحنى بشكلٍ بطيءٍ مستنداً على ركبتيه، وأنزل رأسه ليرى ما تحت المقعد، اتسعت عيناه لرؤية أحد مخلوقات الفلافي بافي مختبئاً هناك وقد سحب مجموعةً من الكتب وكان يلتهمها. عشرات الأسئلة جالت في فكر الأمين، من أين جاء؟ هل كان يتبع مايند؟ هل استطاع الدخول بينما كان الباب مفتوحاً؟

فور رؤية الفلافي بافي للأمين، اشتد غضبه وقفز من تحت المقعد لمهاجمة الأمين، تراجع الأمين وسقط على ظهره من شدة الذعر، فغرس الفلافي بافي أنيابه في قدمه، صرخ الأمين وركله بقدمه الأخرى، وزحف متجهاً إلى أحد الرفوف القريبة منه، إلّا أن الفلافي بافي قد غرس أنيابه من جديدٍ في خاصرة الأمين، صرخ

الأمين متألماً يضرب الفلافي بافي بيده لكن يده لم تكن بالقوة الكافية لإرغام الفلافي بافي على تركه، واصل زحفه بصعوبةٍ شديدةٍ وذلك المخلوق متعلقٌ فيه بأنيابه. أخذ أحد الكتب من الرف ولحسن حظه أنه قرأ الكتاب بالكامل من قبل، ويستطيع استخدامه لإخراج الأشياء منه. أخرج الأمين سكيناً من الكتاب وطعن الفلافي بافي عدة طعناتٍ وهو يصرخ إلى أن فارق المخلوق الحياة، ورغم ارتياحه بعض الشيء للتخلص من ذلك المخلوق إلّا أن الألم كان أكثر من أن يتحمله، فكان يتلوى ويشتم وهو ما زال مستلقياً على الأرض حتى تنبه لشيءٍ ما، إذا كان المخلوق قد وصل إلى هنا فمن المحتمل أن يصل أعضاء منظمة المصدر العالمية إلى هنا أيضاً. بثت تلك الفكرة الرعب في قلبه، لأن حصول منظمة المصدر على مكتبة الأكاشا السحرية يعني انتهاء كل هذه الحرب، ولا يمكن لأبناء الحرية المقاومة من جديد. تحامل على نفسه رغم الشعور الفظيع بالوجع، وزحف إلى أن وصل للمقعد الدائري، حمل نفسه بذراعيه حتى وصل إلى شعلة بروميثيوس التي بإمكانها تغيير مكان المكتبة. ثم سحب العتلة وسقط أرضاً. بدأت الكتب تطفو في الهواء مشيرةً إلى أن المكتبة تستعد للانتقال إلى مكانٍ آخر، أغمض الأمين عينيه وفقد الوعي.

بعد عدة ساعاتٍ شعر الأمين بشيءٍ رطبٍ على وجهه مما أعاد وعيه له، فتح عينيه ليرى القط الكمي يلعق وجهه، نهض الأمين فزعاً ليرى جثة الفلافي بافي ما زالت مكانها وهناك بعض الكتب المتساقطة على الأرض، لمح كتاب "فرانكشتاين"* (هامش: رواية للكاتبة الإنجليزية ماري شيلي تتحدث عن الدكتور فيكتور

فرانكشتاين وتجربته التي يستطيع من خلالها صنع مخلوقٍ عاقلٍ من الجثث) ولمعت في عينيه فكرةٌ سينفذها ما أن يقوم بمعالجة نفسه.

الفصل الثالث عشر

(عميلة مزدوجة)

ولدت سبيرت للدكتورين بوران وسندي باست، ورغم أن الأرض لم تسعهما من الفرح لولادة ابنتهما، لكنهما قررا مسبقاً أنهما سيقومان بإدخال سبيرت في نظام التربية الأفلاطونية الخاص بمنظمة المصدر العالمية، وذلك يعني التخلي عنها لمصلحة المنظمة وزيارتها في كل أسبوعٍ مرةً واحدةً. تم إلحاق سبيرت بنظام التربية الأفلاطوني وعمرها أسبوعٌ واحد، وما أن وصل عمرها إلى أربع سنواتٍ حتى أظهرت تميزاً كبيراً عن بقية المنخرطين في هذا النظام، فذكاؤها وسرعة بديهتها واهتمامها بالفنون كانت تلفت الأنظار إليها، وحصلت على انتباه كبار أعضاء منظمة المصدر العالمية في وقتٍ قصير، وتمت مراقبتها عن كثب، إلّا أن ذلك التميز لم يكن شيئاً جيداً كلياً بالنسبة لها! ففي عمر الخامسة عشرة وبعد أن أقامت المنظمة أول اختبارٍ لمن هم في سنها، لمعرفة من سيواصل معهم ومن سيتم إخراجه من النظام الأفلاطوني، توضح لسبيرت أنه ليس كل من هم حولها أصدقاءَ حقيقيين، فتميزها في الاختبار أيضاً كان سبباً جعلها تكتشف غيرة الكثيرين منها ومن إنجازاتها، ورغم أنها تحاول أن تتأقلم مع الجميع وأن تكون اجتماعية، إلّا أنها لم تعد تعتبرهم أصدقاءَ لها، فالوحيدان اللذان كانا بجانبها دائماً رغم أنهما يكبرانها بـ ستّ سنين، هما زارا الذي سيعرف في المستقبل بـ "سيد الوحوش" وروزماري التي ستعرف في المستقبل بـ "سيدة الرعب".

وما أن وصلت إلى عمر الثلاثين حتى تجاوزت الاختبار الثاني وتألق مجدها أكثر، وبقي الاختبار الأخير الذي ستتمه بعد بلوغها سن الخامسة والثلاثين. لكنها بعد أيامٍ قليلةٍ من إنهائها الاختبار الثاني جاء إليها زارا في الغرفة العمومية لمبنى الدراسات العامة لمنظمة

المصدر العالمية وقال:

_ سبيرت هناك شيء.....

قاطعته سبيرت فوراً وهي تبتسم وقالت:

_ هل تريد نزالاً آخر؟ لقد هزمتك مرتين في السنة الماضية!.

تجهم وجه زارا لشعوره باستهزائها به وقال:

_ إن القائد الأعلى يريدكِ في الحال في غرفة الاستجواب الرابعة

تعجبت سبيرت من طلب القائد الأعلى ليقابلها، فهي لم تقابله من قبل وكل ما تعرفه عنه هو صوره التي تراها، وأنه مشغول دائماً ومن الصعب الحصول على موعدٍ للقياه، والأغرب كان طلب مقابلتها في غرف الاستجواب، التي في العادة تكون مخصصةً لتعليم المنتسبين لنظام التعليم الأفلاطوني طرق الاستجواب الناجحة. نهضت وأسرعت بالذهاب إلى هناك يتبعها زارا إلى أن وصلت. ما أن دخلت إلى تلك الغرفة الفارغة حتى سمعت صوت الباب خلفها يغلق. حاولت فتح الباب وهي تنادي على زارا وتشعر بعدم الراحة:

_ هل هذا مقلبٌ ما؟ افتح الباب يا زارا

عندها سمعت من مكبرات الصوت في الغرفة صوتاً لم تسمعه من قبل يقول:

_ مرحباً سبيرت لقد سمعت عنكِ الكثير، وقد علق الكثير من كبار منظمة المصدر العالمية الآمال عليكِ لمدى براعتك، نحن متيقنون بأنكِ ستكونين عضواً فعالاً .....

قاطعته سبيرت بغضبٍ وهي تنظر لصورتها في الزجاج العاكس والذي يسمح لمن في الخارج برؤيتها:

_ توقفوا عن هذه المهزلة؟ من أنت؟

_ أوه آسف يا سبيرت لأني لم أعرفكِ بنفسي، أنا القائد الأعلى لمنظمة المصدر العالمية المعروف بـ "سيد الأساطير"

ارتبكت سبيرت عندها وأدت التحية بوضع يدها بجانب رأسها، وقالت:

_ ما هو المطلوب سيدي؟

_ إن سمعتكِ قد سبقتكِ ونريد تعجيل اختبارك الثالث، فلو تجاوزتِ الاختبار فإننا نريد توكيلكِ بمهمةٍ مصيريةٍ نضعها بين يديكِ.

_ لكن ..... لم أبدأ بصفوف العلوم المحرمة بعد! ليس لدي أي معلومةٍ عن هذه العلوم وما هي! لا أعتقد أني مستعدةٌ لاختبارٍ لا أعرف عنه أي شيء.

_ لا تقلقي، لا يحتاج الاختبار إلى المعرفة، كل ما عليكِ فعله هو حمل الكتاب الذي يقع في الطاولة التي خلفكِ.

ازداد ارتباك سبيرت وهي تستدير لترى أن هناك كتاباً فعلاً موضوعاً على الطاولة التي تتوسط الغرفة، وبدأت تحدث نفسها:

"ما الذي يريده سيد الأساطير حقاً؟ لماذا يوجد كتابٌ هنا؟ وكل ما تعلمناه طوال ثلاثين سنةً كان أن الكتب شرٌ ويجب إتلافها فور إيجادها! هل هذا فخ؟ يريدونني أن أمسك الكتاب حتى يتهموني

بحيازته؟ هل غيرة زارا مني قد جعلته يحاول تلفيق تهمةٍ كهذه لي؟"

بعد تفكيرٍ طويلٍ رفضت سبيرت لمس الكتاب وقالت بصوتٍ مهزوز:

_ سأحرق هذا الكتاب فور تمكني من فتح هذا الباب وجلب قداحة

عندها تغير الزجاج العاكس في الغرفة وتحول إلى زجاجٍ يمكنها رؤية ما وراءه. وجدت زارا وروزماري يقفان في تلك الغرفة ويقف بينهما رجلٌ كهلٌ حليق الذقن، وقد حفرت السنون مذكراتها على تجاعيد وجهه. رغم قصره تبدو عليه الهيبة والوقار ويمسك في يده اليسرى كتاب "مغامرة العقل الأولى"* (هامش: مغامرة العقل الأولى للكاتب السوري فراس السواح، يناقش مفهوم الأساطير وكيف أنها منظومةٌ فكريةٌ متشبعةٌ بقلق الإنسان من المجهول وسعيه لمعرفة غموض هذا العالم)

نظرت له سبيرت وازداد توترها، إنه القائد الأعلى فعلاً وليست محاولةً يائسةً من زارا لإزاحتها عن طريقه للوصول لمنصب القائد. جال في فكرها: "ما الذي يفعله سيد الأساطير بحمله للكتاب؟". ردد سيد الأساطير كلامه وقال وهو يحاول طمأنتها مشيراً للكتاب الذي في يده:

_ لا تقلقي يا سبيرت، كل ما عليكِ فعله هو حمل الكتاب الذي على الطاولة التي خلفكِ، لن يمسكِ أي سوءٍ.

لم يعد هناك مجال أمام سبيرت لرفض الأمر، استدارت ناحية الكتاب، نظرت له طويلاً وهي تحاول تحليل ما يحصل في عقلها،

لكن كل شيءٍ كان مبهماً بالنسبة إليها، مدت يدها المرتجفة وهي تبلع ريقها بصعوبة، أمسكت الكتاب وقد كان عنوانه: "ما حدث لهم"* (هامش: ما حدث لهم هو مجموعة قصصية مرعبة للكاتب عبد العزيز السيهاتي) ورفعته عن الطاولة، فتحته بترددٍ وعندها أضاء الكتاب بنورٍ خافت. لم تعلم في ذلك الوقت أن الكتب تضيء! سمعت صوت تصفيقٍ لترى سيد الأساطير يصفق بينما كان وجها زارا وروزماري عابسين. لم تعلم ما الذي يحدث لكن ما هي متيقنةٌ منه أن القائد الأعلى سيد الأساطير سعيدٌ بما فعلته، عندها قال لها:

_ يبدو أن توقعات كبار المنظمة صحيحةٌ، فأنتِ الآن حاملة كتبٍ رسميةٌ لمنظمة المصدر العالمية.

عندها دخلت روزماري "سيدة الرعب" وسحبت الكتاب من يد سبيرت بغَيظٍ وقالت:

_ هذا الكتاب لي

وبعدها دخل الاثنان الآخران وبدأ القائد الأعلى يشرح لسبيرت أنه كان من المفترض أن تدرس العلوم المحرمة في السنوات الخمس القادمة، وهي العلوم الموجودة في الكتب التي تمتلكها المكتبة السحرية الخاصة بمنظمة المصدر. وبعد السنوات الخمس سيتم اختبارها الاختبار ذاته الذي اجتازته للتو. لكنهم الآن في عجلةٍ من أمرهم لمهمةٍ ضروريةٍ، وبدأ يسرد لها المعلومات عن مكتبة العلوم المحرمة السحرية التابعة لهم، وكيف أنهم يستطيعون إخراج الشخصيات والأدوات والبيئة من الكتب. لم تستطع سبيرت رغم ذكائها استيعاب الأمر أو حتى تصديق ما يمكن استيعابه من الأمور

التي أخبرها بها! لم يكن الأمر سهلاً عليها إلّا أنها قضت الأيام التالية للاختبار في مكتبة العلوم المحرمة وبدأت تقرأ الكتب واحداً تلو الآخر بأمرٍ من القائد الأعلى.

إن مكتبة العلوم المحرمة السحرية هي نسخةٌ مطابقةٌ لمكتبة الأكاشا السحرية، لكنها تختلف عنها في شيئين فقط، فالكتاب الموجود في إحدى المكتبتين لا يوجد في المكتبة الأخرى، بحيث إن كل مكتبةٍ منهما تحتوي على كتبٍ خاصةٍ بها. والشيء الآخر هو التمثالان اللذان يقعان في المنتصف في المكتبتين، فبدل تمثال بروميثيوس في الطابق الأول من مكتبة الأكاشا يوجد في مكتبة العلوم المحرمة تمثال لبراهما ذي الوجوه الأربعة* (هامش: براهما هو أعلى شكلٍ للوجود، ويسمى بالخالق في المعتقدات الهندوسية، والبعض يعتقد أن وجوهه الأربعة تمثل العناصر الأربعة الأساسية الماء والنار والتراب والهواء) جالساً، بينما في الطابق الثاني يوجد تمثالٌ لشيفا* (هامش: شيفا أو يسمى مدمر العوالم هو أحد الثالوث الهندوسي وهو المسؤول في الديانة الهندوسية عن تدمير العالم وبدء دورة حياةٍ جديدةٍ من قبل براهما) جالساً في وضعية تأملٍ ويمسك في يده رمحاً ذا ثلاث أشواكٍ.

كان الأمر غريباً عليها في الأيام الأولى فكل شيءٍ جديدٌ، إلّا أن تلك الكتب التي قرأتها وتلك العوالم والمشاعر التي عاشتها في تلك القصص جعلت عينيها تريان العالم بشكلٍ آخر. ومع كل كتابٍ كانت تقرؤه تشعر بأنها تضيف لنفسها بُعداً جديداً في موضوعٍ أو عدة موضوعات معينةٍ، ولكن يضاف لتلك الأبعاد العديد من الأسئلة الجديدة. بعد عدة أيامٍ أصبحت تقرأ ليس لأن القائد الأعلى أمرها

بذلك، بل لأنها شعرت بالمتعة في الغوص داخل عالمٍ عميقٍ جدّاً. أحست أيضا بشعورٍ غريبٍ لم تتعرف عليه في البداية، لكن شيئاً فشيئاً بدأت أسباب تلك المشاعر تتضح لها، لقد كانت حرية التفكير واختيار ما تؤمن به بنفسها وليس التلقين والقولبة التي يعيشها الناس في هذا العالم. وكلما تعمقت في قراءة تلك الكتب أكثر عرفت أن هناك بذرةً بدأت تنبت عميقاً في أساس كيانها، وهي أن للجميع الحق في قراءة ما يريدون، ولهم الحق باختيارهم ما يؤمنون به وما يشعرون بأنه الصواب.

وفي أحد الأيام بينما كانت منهمكةً في القراءة في مكتبة العلوم المحرمة السحرية، دخل عليها سيد الأساطير وفي يده بعض الملفات التي كتب عليها: "غاية في السرية" وجلس بجانب سبيرت وقال:

_ ستبدئين مهمتك بعد شهر.

أجابت سبيرت بتململ:

_ ألن تخبرني بماهية المهمة؟ إنك تخبرني بأنه علي الاستعداد لها منذ مدةٍ ولم تخبرني بنوعها حتى الآن!

_ إن المهمة بالغة السرية، ولا يعلم عنها أحدٌ سواي، لذا كنت أتكتم على المعلومات لضمان نجاحها، على كل حالٍ بعد شهرٍ ستتركين منظمة المصدر العالمية، وأريدكِ أن تخترقي جماعة أبناء الحرية المخربين كعميلٍ مزدوج، أريد أن تكسبي ثقتهم وتكوني واحدةً منهم، إلى أن تحددي موقع مكتبة الأكاشا السحرية بدقةٍ، وعندها سنقوم بالهجوم لتدميرها وإنهاء أمر تلك الجماعة. لن تستطيعي

التواصل معنا خلال هذه المدة بتاتاً، وسيتم اعتبارك خائنةً وستعلق صورك بجانب ماكيفيلي، يجب أن نتقن الدور ونجعلهم يصدقون انقلابك علينا.

تفاجأت سبيرت عند معرفتها بالمهمة، فلم تكن تتوقع أن تكون مهمتها بهذا الشكل، بين ليلةٍ وضحاها ستكون بعيدةً عن كل ما اعتادت عليه، ستترك مكانها وعالمها كله لأجل ماذا؟ لأجل أن تستطيع المنظمة أن تقضي على بضعة صعاليك ليس لهم أهمية؟ وما هو الشيء الخطير الذي يقومون به؟ كل ما تعرفه عنهم أنهم جماعةٌ من الناس يحوزون على كتب! أوه صحيح، الكتب، لكن لا يوجد في الكتب شيءٌ يستحق العقوبة! لو أنها لم تنغمس في قراءة الكتب في الأيام الأخيرة الفائتة لربما كان رأيها مختلفاً، فهي قد قرأت الكثير ولم تجد شيئاً سيئاً فيها سوى أنها تقدم وجهات نظرٍ مختلفةً عن الحقائق المطلقة التي تتبناها منظمة المصدر. ربما يكون أبناء الحرية على حقٍّ؟ فالبشر من حقهم أن يتعلموا أكثر مما يقدمه نظام شجرة المعرفة الرقمي.

رغم الكثير من الأشياء التي كانت تدور في رأسها إلّا أنها بقيت صامتةً تحدق في سيد الأساطير ولم تنطق بشيءٍ مما يدور في خلدها، عندها تابع سيد الأساطير قائلاً:

_ تجهزي جيداً يا سبيرت فالمنظمة تعتمد عليكِ حقّاً

كان ذلك الشهر الذي ستبتعد سبيرت بعده عن منظمة المصدر كالجحيم بالنسبة لها، فالصراع الحاصل بين أفكارها وكل ما تعلمته من المنظمة طوال الثلاثين سنةً الماضية من جهةٍ، ومن الجهة

الأخرى الأشياء التي تعلمتها من الكتب في الأسابيع الماضية. ورغم كل ذلك خرجت في نهاية الشهر لتندمج بين السكان المحليين إلى أن وصلت إلى جماعة أبناء الحرية وهي لم تتخذ القرار في أي جانبٍ سوف تكون.

تفتح سبيرت عينيها وهي تشعر بثقلٍ كبيرٍ ورؤيةٍ ضبابيةٍ استمرت لبضع ثوانٍ، حاولت تحريك يديها لكنها وجدت يديها مقيدتين خلف الكرسي الذي تجلس عليه، تفحصت تلك الغرفة التي تعرفت عليها سريعاً. كانت أمامها طاولة مستطيلة الشكل وطويلة، وهناك العديد من الكراسي الموضوعة على جانبي الطاولة الخشبية، والأرض مصنوعةٌ من خشب الورد الداكن، وهناك بعض الخزائن الخشبية بجانب الجدران المغطاة بورقٍ أبيض مزخرفٍ في تلك الغرفة، ومُعلّقٌ في سقفها ثريةٌ مضيئةٌ مصنوعةٌ بعناية. لقد زارت سبيرت هذه الغرفة من قبل عندما كانت تعمل في منظمة المصدر، وحضرت اجتماعاً في المدينة المسماة بالمدينة الفيكتورية التي تبعد ما يقارب العشرين دقيقةً عن المدينة الحديدية. نظرت جيداً لترى أن هناك شخصاً جالساً مقابلها من الجهة الأخرى لتلك الطاولة الطويلة، تعرفت عليه فوراً وقالت:

ـ يا إلهي، من بين كل الناس يضعون شخصاً مهووساً بكتب الرعب لمراقبتي، يا روزماري؟

أغلقت روزماري الكتاب الذي كانت تقرؤه ورفعت بصرها ونظرت لها بابتسامةٍ شامتةٍ وقالت:

ـ لم أحبكِ يوماً يا سبيرت، لقد كنتِ تعتقدين دائماً أنكِ أفضل من

الجميع! وانظري إلى أين أوصلكِ غرورك ذلك.

ثم قامت وذهبت باتجاه الباب وتوقفت قبل أن تفتحه، ثم قالت:

_ لا أعلم لمَ القائد الأعلى سيد الأساطير منعنا من قتلكِ! لكن ثقي بأنه حال إعطائي الأمر سيكون مصيركِ جحيماً مرعباً بالنسبة لكِ، وخرجت بينما كانت سبيرت تتجاهلها وتحلل محيطها لمعرفة ما هي الحلول التي تملكها لتخرج من هذا الموقف الصعب. لم يمضِ الكثير من الوقت حتى عادت روزماري ومعها كلٌ من القائد الأعلى يرافقه سيد الوحوش زارا، فقال القائد الأعلى بحماس:

_ أخيراً، لقد وجدناكِ يا سبيرت، تأخر موعد عودتكِ كثيراً

تفاجأ كلٌ من روزماري وزارا لردة فعل سيد الأساطير الهادئة، فقد كان من المفترض أن يستشيط غضباً لخيانتها لهم! عندها قال زارا:

_ سيدي، ما الذي تقوله؟ يجب أن تعاقب لا أن تقابلها بهذا الحماس!

عندها أمر القائد الأعلى سيد الأساطير كلّاً من روزماري وزارا بالخروج، فهو لم يخبر أيّ أحدٍ بالمهمة التي أوكلها لسبيرت قبل سنتين، وما أن خرجا من الغرفة حتى قال متلهفاً:

_ إذاً يا سبيرت، أين تقع مكتبة الأكاشا السحرية الآن؟

عندها ردت سبيرت بسخرية:

_ هي في كل مكانٍ ومع ذلك لن تجدها أبداً.

خبت ابتسامة سيد الأساطير عند سماعه تلك الكلمات، وقال:

ـ اسمعيني جيداً يا سبيرت. كان من المفترض أن تعودي لمنظمة المصدر قبل سنةٍ بمعلوماتٍ أكيدةٍ عن مكتبة الأكاشا السحرية، ولكن لم أرد أن أكون عجولاً ولم أتواصل معكِ، لقد قلت ربما تحتاجين لوقتٍ أكبر لتكسبي ثقتهم، ولكن أتفاجأ اليوم بعمليتكم المقيتة على نظام شجرة المعرفة الرقمي وقد تسببت بذعرٍ كبيرٍ بين الناس! ما الذي كنتِ تفكرين به يا سبيرت؟ إعطاء البشر فرصةً للتفكير ليس بأمرٍ يمكن التسامح فيه، ألم تتعلمي من الكتب شيئاً؟ كان الناس يتقاتلون لاختلاف أفكارهم ومعتقداتهم في العالم القديم، وبفضل منظمة المصدر تم توحيد جميع الأمم تحت راية فكرٍ موحدٍ واحدٍ، حيث النزاعات أصبحت في أقل مستوىً لها منذ بدء الخليقة .....

قاطعته سبيرت بحدة:

ـ من حق الجميع اختيار ما يريدون الإيمان به، وما يرونه صحيحاً بالنسبة لهم.

أجاب بهدوء:

ـ لا يوجد إلا حقيقةٌ واحدةٌ فقط وهي الحقيقة التي توافق عليها منظمة المصدر العالمية، ما فعلتموه كان ضرباً من الجنون! تريدون تدمير العالم من أجل بعض الحقائق الزائفة؟ ..... على كل حالٍ هناك مخرجٌ واحدٌ لكِ من هذه المعضلة، وهو إخباري بمكان مكتبة الأكاشا السحرية، سأمهلكِ بعض الوقت لتفكري فأنا لست بمزاجٍ يسمح لي بمناقشة غبائكم أكثر من هذا، يجب علي اتخاذ تدابير مشددةً لأجل الحد من انتشار تلك المعلومات التي وضعتموها في نظام شجرة المعرفة الرقمي.

وعندها خرج وبقيت سبيرت وحيدةً في تلك الغرفة، تفكر ما الذي يمكنها فعله؟

الفصل الرابع عشر

(الدخان الأبيض والأسود)

بعد أن خرج مايند من مكتبة الأكاشا السحرية ليبحث عن سبيرت، وقف حائراً بعد البوابة الرئيسة لمستشفى الصحة النفسية الذي تستولي عليه مكتبة الأكاشا. لم يعرف إلى أين يجب عليه الاتجاه للبحث عنها، كل ما استطاع معرفته من العرافة إزميرالدا هو أن سبيرت حبيسةٌ في مكانٍ ما! وليس له أي دليلٍ على مكانها، كما أن المدينة الحديدية تعج بأعضاء منظمة المصدر ومخلوقات الفلافي بافي. فتح الحقيبة التي حملها وجمع فيها بعض الكتب محاولاً التذكر، ما هي الشخصيات التي يمكنها أن تساعده في بحثه عن سبيرت؟ وهو غارقٌ في التفكير ويحاول التذكر التفت إلى وجود كيانٍ يقف على مسافة بضعة أمتارٍ منه، أدار رأسه ليجد دخاناً أبيض متشكلاً على هيئةٍ بشريةٍ ينظر إليه، ثم قال له:

ـ اتبعني، سأوصلك لها.

إنه الدخان الذي رآه في حلمه، هل يعقل أنه حقيقي؟ هل يحاول مساعدته حقّاً؟ تساءل مايند عندها:

ـ من أنت؟

أجاب الدخان الأبيض:

ـ أنا شيءٌ لا يمكن للبشر فهمه، لكني هنا لمساعدتكم، اتبعني، فإن سبيرت في خطرٍ، لقد تأخرتَ كثيراً، سنتحدث في الطريق

ـ أين هي سبيرت؟

أجاب الدخان وقد بدأ بالتحرك:

ـ إنها في المدينة الفيكتورية، في مبنى الاجتماعات، فإن لم تلحق

بي فستخسرها حتماً.

أسرع مايند باللحاق به إلى أن وصلا إلى فتحةٍ في جانب الشارع الذي يمشيان فيه، وعندها أشار الدخان الأبيض بيده إلى تلك الفتحة، رفع مايند الغطاء الحديدي بصعوبةٍ، ووجد أنها فتحةٌ تؤدي الى أنفاقٍ تحت أرضية، نزل الاثنان يتقدم الدخان الأبيض مايند، عندها قال مايند:

ـ ما أنت حقّاً؟ لماذا تساعدني؟ وتساعد البشرية على زعمك؟

أجاب الدخان الأبيض وهو يمشي متقدماً أكثر في تلك الأنفاق:

ـ من الصعب على عقلك إدراك طبيعتي، فأنا أحد الكائنات المتفوقة والتي من شبه المستحيل أن تفهمها! لكن لأبسط لك الأمر، فأنا كائنٌ غير ماديٍّ بطبيعتي، وهذا الدخان هو تجسيدٌ ماديٌّ لي، أنا كالفكرة في رأسك لا يمكنك الإحساس بها لكن يمكنك تجسيدها على أرض الواقع، أما بخصوص لماذا أساعدك وأساعد البشرية، فذلك لأني أعتقد أن البشر هم أسياد أقدارهم وعالمهم، ولا يحق لأحدٍ التدخل في أمورهم .....

قاطعه مايند:

ـ من تقصد بكلامك أنه تدخل في أمور البشر؟

أجاب الدخان الأبيض:

ـ إنه أخي الدخان الأسود، لقد كنا نراقب البشر لسنواتٍ طويلةٍ أنا وهو، لكن سلوك البشر العنيف تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه هذا الكوكب الذي يحتضنهم لم يعجبه، لذا قبل سنواتٍ طويلةٍ وجد الدخان

الأسود شخصاً يملك أفكاراً متطرفةً بشأن الحرية الفكرية، وقد كان يريد تقنين المعلومات التي يتلاقاها عامة الناس. أظهر الدخان الأسود نفسه له وأعطاه مكتبة العلوم المحرمة السحرية، وأخبره بخُطةٍ مُحكمةٍ من عدة مراحل تمكنه من توحيد الناس تحت راية منظمةٍ واحدة، وبعدها بسنواتٍ وبقدرات الكتب السحرية الموجودة في تلك المكتبة، وبدعم بعض الأشخاص الذين تبنوا الفكرة، تأسست منظمة المصدر العالمية ووضعت سطوتها على العالم بأسره، حيث أصبح الكل يعيشون كقالبٍ لأفكار تلك المنظمة.

كان ذلك الكلام جديداً على مايند فطالما سمع من جماعة أبناء الحرية أنهم لا يعلمون من أين أتت مكتبة الأكاشا السحرية، لذا قال:

_ ولماذا صنع الدخان الأسود مكتبة الأكاشا السحرية إذاً؟ بحسب كلامك فإنه استطاع السيطرة على البشر وعلى ما يصلهم من معلومات.

_ أجاب الدخان الأبيض:

_ أنا من صنعت مكتبة الأكاشا السحرية وليس أخي، لقد صنعتها ليجد أصحاب الفكر الحر طريقةً لمجابهة أعضاء منظمة المصدر، ويعيد البشر حريتهم التي فقدوها بسبب أخي.

تساءل مايند:

_ إذاً لماذا لا تمنع الدخان الأسود بنفسك من التدخل في شؤون البشر؟

صمت عندها الدخان الأبيض وأشار إلى فتحةٍ أعلى السلم

الحديدي المثبت على الجدار، وقال:

_ اخرج من هذه الفتحة، وسز إلى الأمام إلى أن تجد مبنىً ذا قبةٍ وبرجين في كل برجٍ منهما ساعة، ستكون سبيرت هناك.

وبعدها تلاشى الدخان الأبيض وكأنه لم يكن موجوداً قبلها بلحظات، تسلق مايند السلم وأزال الغطاء الحديدي عن الفتحة الحديدية بحذرٍ وخرج وهو يلتفت ليتحقق من أن أحداً لا يراه، لكنه وجد المدينة خاليةً تماماً من البشر، لم يعلم مايند في ذلك الوقت بأن منظمة المصدر قد أعلنت قبلها بساعاتٍ عن حظر التجوال، وذلك إجراءٌ احترازيٌ بسبب ما فعله جماعة أبناء الحرية بنظام المعرفة الرقمي. تقدم مايند كما أخبره الدخان الأبيض إلى أن وصل إلى المبنى المطلوب، اختبأ خلف إحدى الشجيرات عند رؤيته لثلاثة أشخاصٍ يقفون أمام الباب الرئيسي. كانوا يرتدون ملابس لأعضاء من مستوىً رفيعٍ من منظمة المصدر. أحدهم كبيرٌ في السن، بينما الفتى والفتاة في الثلاثينيات من أعمارهما. تحرك الرجل العجوز يرافقه الفتى بينما عادت الفتاة إلى داخل المبنى. عندما دقق مايند النظر في الرجل العجوز عرفه من الصور التي كان يراها في التلفاز وفي نظام شجرة المعرفة الرقمي، إنه القائد الأعلى لمنظمة المصدر. انتظر حتى ابتعدا عن المبنى وغابا عن نظره وتسلل إلى داخل المبنى.

لم يكن يعلم أين يجب عليه بدء البحث، لكنه سمع صوت صراخٍ قادماً من إحدى الغرف في نهاية الممر، تقدم ناحية الصوت ووضع أذنه على الباب ليسمع صوت فتاةٍ تصرخ وهي تكلم أحدهم: "هل تعتقدين أنكِ أفضل مني؟" عندها سمع صوت سبيرت ترد على

الفتاة وتقول: "بالطبع أنا أفضل منكِ"، فتح عندها مايند الباب بهدوءٍ ليختلس النظر وليجد روزماري تمسك بشعر سبيرت المكبلة وهي تصرخ فيها، اقتحم مايند الغرفة سريعاً ودفع روزماري على الأرض، ونظر باتجاه سبيرت التي كانت تقاوم لكي لا تفقد الأمل، قال لها:

_ هل أنتِ بخير يا سبيرت؟

لم تتمالك سبيرت نفسها فتساقطت دموعها. ربما كانت تتظاهر بالقوة، لكن كان في داخلها يأس من أن يأتي أحدٌ لإنقاذها.

أجابت وهي تحاول مسح دموعها في كتفها:

_ بالطبع أنا بخير.

بينما كان مايند منشغلاً بسبيرت تسللت سيدة الرعب روزماري، وأخذت الكتاب الذي كانت قد وضعته على الطاولة سابقاً وكان عنوانه يوكاي* (هامش: كتاب يوكاي الكشف عن المخلوقات الغامضة للفلكلور الياباني للكاتب مايكل فوستر) فتحته على عجلٍ وقالت:

_ اخرجي يا كوتشيساكي أونا* (هامش: في الفلكلور الياباني تعرف كوتشيساكي أونا بالمرأة ذات الفم المشقوق، وهي شخصيةٌ مرعبةٌ تصطاد الرجال وتقتلهم بمقصٍّ كبير)

خرج شعرٌ أسود طويلٌ من الكتاب وسقط على الأرض، وظهر من ذلك الشعر امرأةٌ شاحبة الوجه، تغطي فمها بكمامةٍ طبيةٍ وملابسها رثةٌ وممزقة وتحمل مقصّاً كبيراً صدئاً. تقدمت نحو مايند وهو يتراجع إلى أن اصطدم بالجدار الذي خلفه، عندها فتحت المقص

ووضعت شفرتيه المفتوحتين على عنق مايند استعداداً لقطع رأسه، وقالت:

ـ هل تراني جميلة؟

كادت سبيرت أن تصرخ بمايند ألا يجيبها، لكن روزماري كممت فم سبيرت بيدها، كان ارتباك مايند واضحاً وقد أجاب بترددٍ:

ـ ن.... ن... نعم

عندها نزعت تلك المرأة الكمامة الطبية ليبان فمها المخيف والمشقوق من الجانبين، وقربت وجهها من وجهه حتى اشتمّ أنفاسها النتنة، ثم أعادت السؤال على مايند:

ـ هل تراني جميلة؟

كادت شفتا مايند المرتعدتان أن تجيبا بلا، لولا أن سبيرت قامت بعضّ أصابع روزماري التي أفلتتها فوراً وصرخت: "لا تُجب يا مايند"* (هامش: في الفلكلور الشعبي الياباني عندما تسأل المرأة ذات الفم المشقوق مرةً ثانيةً بعد نزع الكمامة، فيقال بأنك لو أجبت بلا فإنها ستقتلك، وإن أجبت بـنعم فإنها ستتركك وتأتي لمنزلك كي تقتلك ليلاً).

توقف مايند وبدأ يحدق في سبيرت التي صرخت مجدداً:

ـ اسألها أنت وستتركك

لحسن حظ مايند أن سبيرت قرأت الحكاية الشعبية اليابانية في هذا الكتاب من قبل، وتعرف ما هي الطريقة التي تمكنك من الهروب من وحشٍ كهذا! مع ذلك فإن خوف مايند جعله يتردد قليلاً قبل أن

يسأل:

ـ هل .... هل تريننني جميلاً؟

عندها أصابت الحيرة تلك المرأة وأبعدت المقص عن رقبته، وبدأت تمشي بتخبطٍ وذهبت مبتعدةً عنه لتقف في زاوية الغرفة وتبكي. سريعاً قامت روزماري بإعادة المرأة ذات الفم المشقوق إلى الكتاب، لأنها تعلم بأن لا فائدة منها بعد الآن، وأرادت أن تُخرج شيئاً آخر منه لولا أن مايند أسرع ولكمها على وجهها فأسقطها أرضاً وأخذ الكتاب منها، وبعدها قام بتحرير سبيرت وقيد روزماري مكانها. قام مايند باحتضان سبيرت بشدةٍ وهو يقول:

ـ من الجيد أني لم أستمع لكلام الأمين وجئت للبحث عنكِ

ابتسمت سبيرت ودفنت وجهها في صدر مايند ثم ذرفت الدموع، فهي طوال حياتها كانت تشعر بأن جميع من حولها في صراعٍ دائمٍ معها بسبب مهاراتها العالية، ولا أحد يعتبرها شخصاً لديه ضعفٌ في داخله ويحتاج إلى حماية أحدهم في بعض الأحيان، فمهما كان الإنسان قويّاً فهو يريد أن يشعر بأن هناك شخصاً يكون بجانبه في لحظات ضعفه. كانت تلك اللحظة غاليةً جدّاً على قلب سبيرت، فقد عرفت معنى أن يحاول أحدهم لأجلك ولو كانت جميع الظروف ضده.

رفع مايند رأس سبيرت عن صدره وقال:

ـ يجب أن نتحرك سريعاً، فالأمين سينقل المكتبة إن لم نرجع في الوقت المحدد.

خرج الاثنان مسرعين ليجدا زارا يقف بالقرب من بوابة المبنى ومعه العديد من الجنود، وكما يبدو فهو يلقي عليهم الأوامر، ذهب الاثنان للبوابة الخلفية من المبنى ليتفاديا لقاء أعضاء المنظمة، وبعد عناءٍ طويلٍ استطاع الاثنان الدخول إلى نظام الأنفاق تحت الأرضي، وتتبع مايند الطريق الذي جاء منه إلى أن وصلا إلى المدينة الحديدية من جديد، وفور خروجهما من النفق وجدا في الطريق المؤدي إلى المصحة النفسية حاجز تفتيشٍ يقف أعضاء المنظمة عنده. أخرج مايند كتاب دراكولا وأمر الكونت بالخروج والقضاء عليهم. ما أن انتهى الكونت دراكولا من مهمته حتى طلب منه مايند العودة، وأسرع هو وسبيرت حتى وصلا إلى المصحة، دخلا ليتفاجأا بأن المكتبة لم تعد موجودةً، وكل ما هنالك هو خربةٌ متبقيةٌ من المصحة القديمة، صرخ مايند وهو ينظر لساعته:

_ ذلك الوغد، لقد تركنا وذهب، بقي الكثير من الوقت على الموعد الذي أعطاني إياه!

الفصل الخامس عشر

(بين المكتبتين)

يجلس مايند وهو يسند ظهره على أحد الحيطان وبجانبه تجلس سبيرت، كان الهدوء يخيم على المكان لكنهما كانا يسمعان بين الفينة والأخرى صوت أعضاء المنظمة وهم يجوبون الطرقات بحثاً عن أي مشتبهٍ به بعد إعلان حظر التجول المطلق، تنهد مايند وقال:

ـ كيف يجرؤ ذلك الوغد على تركنا هنا؟

أجابت سبيرت:

ـ إن الأمين مهووس بشيءٍ واحدٍ فقط، ولا يهمه سواه، وهو مستعدٌ للتضحية بكل شيٍ من أجله، وهو تدمير منظمة المصدر العالمية.

ـ إذاً ما الذي يجب أن نفعله الآن في رأيك؟

ـ لا أعلم يا مايند، لو حاولنا الخروج الآن فسيقبض علينا أعضاء المنظمة،

تبادر إلى ذهن مايند سؤال:

ـ أين يحتجزون بقية جماعة أبناء الحرية الذين كانوا معنا في المهمة؟

تبدل وجه سبيرت إلى الحزن الشديد وقالت:

ـ لم يحتجزوهم أبداً، لقد قتلوهم في الحال، تلك سياسة منظمة المصدر في الأعمال التي يعتبرونها تخريبية، وعرفت فوراً أنه سيتبادر إلى ذهن مايند السؤال الثاني فأجابت قبل أن يسألها:

ـ أعلم ما تفكر به يا مايند، لماذا احتجزوني ولم يقوموا بقتلي،

أليس كذلك؟

كان صمت مايند خير دليلٍ على أن ما قالته صحيح، وأنه ينتظر إجابةً منها عن ذلك السؤال. حكت سبيرت لمايند كيف أنها تربّت تربيةً أفلاطونيةً وأنها كانت عضواً في المنظمة، وأخبرته بمهمتها التي أوكلها لها القائد الأعلى سيد الأساطير، وأنها كان من المفترض أن تخترق جماعة أبناء الحرية لتدميرهم وتدمير مكتبة الأكاشا السحرية، ورغم ذلك فكان هناك شيءٌ يمنعها من خيانة جماعة أبناء الحرية، لأنها تعتقد أن ما تقوم عليه تلك الجماعة هو الصواب وأن المعرفة والحرية الفكرية حقٌّ للجميع.

شعرت بالارتياح عند قولها كل هذا لمايند، فقد أفرغت ما في قلبها من أسرارٍ كانت تثقله، فهي لم تخبر أحداً على الإطلاق بهذا الأمر من قبل، فحتى الأمين كان لا يعلم أنها قدمت لهم في البداية كعميلٍ مزدوجٍ وأنها كانت ستدمر جماعتهم إلى أشلاء.

لم يقل مايند شيئاً، فالدمعة التي كادت تخرج من محجر عين سبيرت جعلته يعرف حجم ثقل هذا السرّ على كيانها، احتضنها ليعلمها أنها ليست وحيدةً ويمكنها الاطمئنان الآن.

مضت عدة ساعاتٍ وهما في ذلك المكان المهجور لا يعلمان كم ساعةً مضت بالضبط، لكنهما متيقنان بأن الشمس أشرقت وغابت مرةً أخرى وهما في هذا المكان ولا طريقة لديهما للهروب، سمعا صوت احتكاك شيءٍ على الباب الأمامي للمبنى الذي يختبئان به، نهض كلٌّ منهما فزعاً وأمسك كل واحدٍ منهما بكتابٍ من الحقيبة الصغيرة التي أخذها مايند من مكتبة الأكاشا السحرية قبل مغادرته

لها لينقذ سبيرت. يزداد صوت الاحتكاك على الباب ومعه تتزايد سرعة نبضات قلبيهما، اقترب الاثنان من الباب وتبدل صوت الاحتكاك إلى ضربٍ خفيفٍ على الباب، وعندها أشار مايند لسبيرت بالاستعداد وفتح الباب، ليدخل مخلوق فلافي بافي بسرعةٍ إلى الداخل، فتح مايند الكتاب الذي في يده مسرعاً ليخرج الكونت دراكولا إلّا أن سبيرت أوقفته وقالت:

_ توقف يا مايند، هناك شيءٌ غريبٌ في هذا الفلافي بافي.

لم يستوعب مايند ما الغريب فيه، بالإضافة الى أن تجربته السابقة مع الفلافي بافي لم تكن شيئاً يمكنه نسيانه، فتجاهل كلام سبيرت وقال:

_ اخرج أيها .....

قاطعته سبيرت بسحب الكتاب من يده وقالت:

_ انتظر، إن لونه لم يتحول للأحمر وما زال في لونه الليلكي، إنه غير عدواني.

بدأ الفلافي بافي بالقفز ليلفت انتباههما، فدنت منه سبيرت وحملته بين ذراعيها لتجد أثر خياطةٍ في جميع أنحاء جسده، قفز عندها من بين ذراعيها وتوجه نحو الباب للخروج وهو ينظر لهما وكأنه يدعوهما ليتبعاه، نظرت سبيرت لمايند وقالت:

_ لن نبقى هنا إلى الأبد، ربما يكون هذا الفلافي بافي لديه وسيلةٌ لخروجنا من هذا المأزق، رغم عدم رغبة مايند باللحاق به غير أنه لا يملك حلّاً آخر، خرج الاثنان وتبعا الفلافي بافي الذي كان يختبئ عن

أعضاء منظمة المصدر المنتشرين في كل مكانٍ، ثم يتقدم ويختبئ مرةً أخرى حين تأتيه الفرصة لذلك، ويبقى مختبئاً إلى أن يصل له الاثنان، ثم يتقدم وينتقل لمكانٍ آخر. كان الاثنان يتبعانه بحذرٍ ويختبئان في الأماكن التي يختبئ الفلافي بافي فيها، واستطاع إخراجهما من الوجود المكثف لأعضاء المنظمة إلى مكانٍ ناءٍ في الطرف الآخر للمدينة الحديدية، ليجدا نفسيهما يقفان مع الفلافي بافي أمام مبنىً متهالكٍ ومهجورٍ. أسرع الفلافي بافي إلى باب المبنى وبدأ يطرق الباب برأسه، اختبأ الاثنان وراء أحد الجدران وهما يراقبان الفلافي بافي، لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى فُتح الباب ورأيا الأمين وهو ينحني لالتقاط الفلافي بافي، ويلتفت برأسه ليتحقق من أنه لا يوجد أحدٌ هناك، ويقول للمخلوق:

_ إذاً لم تجدهما هناك أيضاً؟!

عندها خرج الاثنان من وراء الجدار وتقدما نحو الأمين، ورغم محاولة الأمين ألا يبدي فرحته لرؤيتهما حيين إلّا أن ابتسامته خانته هذه المرة، وقال عندها:

_ إذاً استطعت إنقاذها فعلاً يا مايند؟

عندها أشار الأمين برأسه لهما ليتبعاه، وعند دخولهما اكتشفا أن مكتبة الأكاشا السحرية قد استحوذت على هذا المبنى المهجور. أسرعت القطة الكمي نحو سبيرت فور رؤيتها وبدأت بالمواء تحت قدميها، فانحنت سبيرت للتربيت عليها بينما نظر مايند للأمين نظراتٍ حادةً، وقبل أن يقول الأمين شيئاً آخر اندفع مايند بغضبٍ وقال له:

ـ لقد وعدتني أنك ستنتظر .....

قاطعه الأمين الذي ما يزال يحمل الفلافي بافي بين يديه:

ـ إنك أحمق يا مايند، لقد كدت أن تتسبب بخسارتنا لمكتبة الأكاشا حين تركت الباب مفتوحاً وأنت السبب في تسلل هذا المخلوق إلى المكتبة، لقد كدت ألقى حتفي بسببك أيها الأحمق.

تراجع مايند عن اندفاعه وصمت، إلّا أن الأمين أتبع كلامه:

ـ لكن لحسن الحظ أني استطعت قتله، وأخرجت الدكتور فرانكشتاين ليقوم بإعادة جثته للحياة وجعله مطيعاً لي، ولذا أمرته بالبحث عنكما ..... لا أستطيع التصديق حقّاً أنه وجدكما وجلبكما إلى هنا! كانت فرصة إيجادي لكما شبه معدومة.

نهضت عندها سبيرت وتركت الكمي وقالت:

ـ إذاً أيها الأمين، ما هي النتائج؟ هل استطعنا فعل ما نريد حقّاً؟

ابتسم الأمين ابتسامةً عريضةً وقال لها:

ـ اتبعاني

توجه الثلاثة للحاسوب الذي وضعه الأمين في المكتبة، وبدأ بالضغط على بعض الأزرار، ثم قال:

ـ لم يستطيعوا محو البيانات التي وضعناها بعد، لقد ضربناهم في مقتلٍ، هل تعلمان أن حماقة من اتخذ قرار حظر التجول في جميع مدن العالم كانت في مصلحتنا؟ فأصبح الدخول على نظام شجرة المعرفة الرقمي أسهل بكثيرٍ بسبب أن الناس لا يجدون شيئاً

يفعلونه! وذلك جعل الناس يقرؤون المعلومات الجديدة، انظرا إلى مواقع التواصل الاجتماعي، إنها تعج بالكثير من الأسئلة. لقد بدأ الناس باستيعاب أن هناك علاجاتٍ بديلةً وتجريبيةً لبعض الأمراض والتي أخفتها المنظمة من الكتب القديمة، فتجد المرضى يتحدثون عن إمكانية تجربتها فالغريق سيتعلق بقشة، وهناك آخرون ممن لفتت انتباههم المعلومات التي تتحدث عن الأنظمة الاقتصادية التي كانت تتبناها بعض الدول في العالم القديم، والتي تختلف تماماً عن النظام الاقتصادي الحالي، كل شخصٍ اطلع على المعلومات التي تهمه والتي تخدم أغراضه ونواقصه الشخصية. تحاول المنظمة الآن إسكات كل من يطرح أسئلةً عن جدوى هذه المعلومات وإمكانية الاستفادة منها! ..... يا إلهي، كم أحب أن يطرح الناس الأسئلة

: قال الأمين جملته الأخيرة وهو في قمة انتشائه وفخره بما حققه، وكذلك كان كلٌ من سبيرت ومايند أيضاً، قال مايند:

_ إذاً نستطيع أن نرتاح الآن.

رد الأمين:

_ نرتاح؟ لقد بدأ الأمر للتو، هل تعتقد أن منظمة المصدر العالمية ستترك الناس الذين سيعارضونها بسهولة؟ سيكون العالم أجمع ساحة حربٍ! وطالما كانت لديهم مكتبة العلوم المحرمة السحرية فإنهم سيستطيعون السيطرة على الوضع في النهاية، فحتى بالمعلومات التي جلبتها لنا سبيرت عن الكتب، ما يزال هناك المئات إذا لم يكن الآلاف من الكتب التي لا نعرف عنها شيئاً، والتي قد تملك قوىً تحبط مخططنا بالكامل إذا ما تهاونا.

عندها تذكر مايند الدخان الأبيض الذي قابله وبدأ يسرد عليهما جميع المعلومات التي أعطاه إياها. وشرح لهما كيف أن للدخان الأسود الدور الرئيسي في نشأة منظمة المصدر، وأن مكتبة المعلومات المحرمة هي من ساعدت المؤسسين على السيطرة على العالم القديم، وهذا أدى بدوره لما يبدو عليه شكل العالم في الوقت الحالي! بعد أن فكر الأمين بذهولٍ لبعض الوقت قال:

ـ إن ما أخبرتنا به يؤكد على أننا يجب أن ندمر مكتبة العلوم المحرمة السحرية للانتصار في هذه المعركة.

ـ "و كيف سنفعل هذا؟": سأل مايند

أجابت سبيرت:

ـ بحسب المعلومات التي أخذتها عندما كنت في تدريبي الأخير قبل أن أنضم لجماعة أبناء الحرية، أخبرني القائد الأعلى بأنه لو سنحت لي الفرصة فيجب أن أضغط على عين تمثال أطلس الرخامي اليمنى، فذلك سيجعل مكتبة الأكاشا تتهاوى على نفسها وتتدمر، لكن لا يوجد لدي أي معلومةٍ عن طريقة تدمير مكتبة العلوم المحرمة!.

أصابت الحيرة الجميع فهم يعلمون بأن مكتبة العلوم المحرمة ليست مكتبةً عاديةً، ولا يمكن تدميرها بالطرق التقليدية، فهي كمكتبة الأكاشا. عندها قالت سبيرت:

ـ ربما لو ضغطنا على العين اليمنى لتمثال شيفا في الطابق الثاني لمكتبة العلوم المحرمة فإن الأمر سينجح، كما هي الطريقة في مكتبة الأكاشا.

عندها رد الأمين:

_ لا يمكننا المجازفة لمجرد حدس، ربما الأمر هناك يختلف عن .....

قطع كلامه تكون دخانٍ أبيض على هيئةٍ بشريةٍ وسط المكتبة، وقال لهم:

_ العين اليسرى، هناك طريقةٌ واحدةٌ فقط لتدمير مكتبة العلوم المحرمة، وهي تكمن في الطابق الثاني للمكتبة، ففي مكتبة العلوم المحرمة يجب أن تضغط على العين اليسرى لتمثال شيفا.

رغم تعجب الجميع من ظهوره المفاجئ، سأل الأمين فوراً:

_ ولماذا علينا الوثوق بك؟

أجاب الدخان الأبيض على الفور:

_ لأننا في الصف نفسه، ونريد الشيء نفسه.

عندها سألت سبيرت:

_ وما هو الشيء الذي نريده؟ هل تعرف؟

_ "نعم أعرف": أجاب الدخان الأبيض، ثم أتبع: "يهمني أن تتحرر البشرية من قبضة أخي"

بعد تفكيرٍ من الثلاثة قال مايند:

_ لنفترض أننا في الصف نفسه حقاً، السؤال يبقى: أين هي مكتبة العلوم المحرمة حقاً؟

عندها أجاب الدخان الأبيض:

ـ إن مكتبة العلوم المحرمة تستحوذ على مبنى مشدد الحراسة في المدينة الفيكتورية، ولن يكون من السهل الدخول إليها، كما أنه لا يمكنني الدخول، فذلك ممنوعٌ علي إلّا إن أدخلتم أحد كتب مكتبة الأكاشا إلى هناك فيمكنني حينها التجسد في تلك المكتبة، ولكن لا يمكنني التأثير على أي شيءٍ ماديٍّ.

سأل الأمين عندها:

ـ ما هي غايتك حقّاً؟ لا تخبرني بأنك مهتمٌ للبشرية فذلك الكلام لا ينطلي علي، لا يوجد شيءٌ بغير مقابل، ما الذي ستستفيد منه حقّاً؟

اختفى عندها الدخان الأبيض ولم يعد له أثر. نظر الثلاثة بعضهم إلى بعض وكلٌّ منهم يفكر ويحلل المعلومات التي حصلوا عليها من الدخان الأبيض، وإذا يمكنهم الوثوق به أم لا.

الفصل السادس عشر

(الفتى ميكافيلي)

رغم أن ذلك الطفل الصغير ذا الشعر الفضي والعيون الحادة، والذي يبلغ العاشرة من عمره، كان يعيش حياةً سيئةً في الأيام التي يقضيها مع والدته التي تدمن على عقار الفايكودين* (هامش: الفايكودين هو عقارٌ مخففٌ للألم، لكن استخدامه بشكلٍ خاطئٍ قد يسبب إدماناً ويحتمل أن يؤدي إلى الموت بجرعةٍ زائدة) غير أنه كان ينتظر نهاية الأسبوع بفارغ الصبر ليقضيه مع أبيه الذي كان يحبه بشكلٍ لا يوصف، ففي هذين اليومين كان ينسى الإهمال والتعنيف اللذين يعيشهما مع والدته طوال أيام الأسبوع. ومع ذلك فهو لم يكن يكره أمه بل بالعكس، ففي كثيرٍ من الأحيان يقوم بالاعتناء بها عندما تكون فاقدةً للوعي بسبب الفايكودين، فيقوم بالتنظيف وراءها، وأحياناً يقوم بتحضير بعض الطعام لها. ولكنه يقف في كل أسبوعٍ بانتظار والده في الخارج عندما يحين موعد قدومه لاصطحابه كي لا يلتقي مع أمه وتحصل بينهما المشاحنات مثل كل مرة. لكن هذه المرة يصادف مجيئه في عطلة نهاية هذا الأسبوع مع عيد ميلاد الفتى. لم يكن يتوقع هديةً من أمه، لكن يكاد صبره أن ينفد وهو ينتظر عودة أبيه، لعله يحضر له هدية هذه السنة.

لاح خيال أبيه وهو يتقدم نحوه لاصطحابه، وعندما ركز الفتى النظر في يدي أبيه وجد أنهما خاليتان، فتبدل حماسه إلى خيبة أملٍ فهو يعرف أن أباه لا يجني الكثير من المال وربما لم يستطع شراء هديةٍ له هذه السنة أيضاً.

ـ عيد ميلاد سعيد يا صغيري

ـ شكراً لك يا أبي

_ هديتك لهذه السنة ستكون شيئاً ساحراً

عاد الحماس للفتى وهو يقول:

_ ما هي؟ ما هي يا أبي؟

_ تعال معي، لا يمكنني إخبارك عنها هنا

مضى الاثنان معاً وكان الأب يلتفت بين الفينة والأخرى ليتحقق بأن لا أحد يتبعهما. إلى أن وصلا أمام مبنىً مهجورٍ، فتح الأب الباب ودخل الاثنان، ليجد الفتى في الداخل مكتبةً دائريةً كبيرةً وفيها بعض الأشخاص، بعضهم يتناقشون والبعض الآخر يقرؤون الكتب، التفت الجميع إلى الأب وقال أحدهم:

_ هل هذا ابنك الذي حدثتنا عنه كثيراً؟

تقدم الرجل إلى الفتى وقال:

_ ما اسمك أيها الفتى القوي؟

لم يجب الفتى، فقد كان طفلاً خجولاً وغير معتادٍ على المواقف الاجتماعية، فنظر إلى أبيه، وعندها قال الأب:

_ ابتعد عنه، إنك تخيفه يا ليسو، ثم استدار إلى ابنه وقال:

_ هل تعلم يا صغيري أن الحكايات والقصص التي أخبرك بها كل أسبوعٍ والتي تحبها جداً، هي من هذه الكتب التي في المكتبة السحرية؟ هناك الكثير من العوالم والحكايات التي ستستطيع قراءتها هنا، منذ اليوم ستكون أصغر عضوٍ في جماعة أبناء الحرية.

لم يعرف الفتى ما يعني بجماعة أبناء الحرية فهو لم يسمع بهم من

قبل، إلّا أن ذهوله من المكان جعله في صدمةٍ أنسته أن يسأل في ذلك الوقت. أمسك الأب يد ابنه وأخذه إلى أحد الرفوف، وسحب كتاباً خفيفاً يصلح لقارئٍ مبتدئٍ وجلس مع ابنه، بدأ يحدثه عن الكتب وما فيها من سحرٍ وحريةٍ، بينما كان الفتى يستمع لأبيه بحماس، ثم قام الأب وقال له:

ـ يمكنك البدء بهذا الكتاب أو يمكنك اختيار ما يناسبك من المكتبة.

ـ هل يمكنني البدء بما أريد؟

ـ بالطبع

فانطلق الفتى يبحث في الكتب إلى أن وجد كتاباً أثار اهتمامه، وما أن سحب الكتاب وفتحه حتى أضاء بنورٍ خافتٍ، بدأ الفتى بالقراءة ورحل في عالمٍ ساحرٍ من الحكايات التي تأخذ بخيال الشخص إلى أماكن لا يمكن زيارتها. شعر بالحرية فهو الآن لا يحتاج إلى أحدٍ ليقص عليه الحكايات بل يستطيع قراءتها بنفسه. مضى الوقت سريعاً بالنسبة للفتى إلى أن أتى الأب وقال له:

ـ هل أنت مستعدٌ لهدية عيد ميلادك؟

تعجب الفتى واعتقد أن إحضاره إلى هنا هو هديته فقال:

ـ ما هي يا أبي؟

ـ استعد

وذهب الأب إلى تمثال بروميثيوس وسحب الشعلة وبعدها بلحظاتٍ عاش الفتى تجربةً خياليةً لانتقال مكتبة الأكاشا السحرية،

كانت ذكرى ستطبع في ذاكرته مدى العمر، وبعد أن أنهت المكتبة الانتقال، جلس الأب وابنه وبدأ بشرح خطورة الكتب في هذا العالم، وكيف أن الكتب في هذه المكتبة مميزةً جداً ويمكنها إخراج الشخصيات منها، وكيف أنهم يحاربون لأجل حرية الفكر، كما أخبره بكتم هذا السر بينهما، وأنه سيجلبه في كل أسبوعٍ إلى المكتبة.

كان ذلك أجمل عيد ميلادٍ عاشه ذلك الفتى، وأصبح ينتظر نهاية الأسبوع بشوقٍ أكبر ليذهب للمكتبة. وفي أحد الأيام وبينما هو في المكتبة لفت انتباهه كتابٌ عنوانه "الأمير"، أخذ الكتاب وبدأ يقرأ فيه، سحر الفتى بمفهوم الكاتب وكيف يمكنه التلاعب بالأشخاص. وكان مندمجاً في القراءة، إلّا أن أباه أخبره بأنهما قد تأخرا ويجب أن يعيده إلى أمه. كان الفتى يريد إكمال الكتاب لكنه يعلم بأنه لو طلب من أبيه أن يسمح له بأخذ الكتاب معه للمنزل فإنه سيرفض، لذا قام بتخبئة الكتاب تحت قميصه بدون أن يلاحظ والده، وبعد أن عاد للمنزل تحقق من أن تكون أمه فاقدةً للوعي وعاود القراءة. فُتن أكثر بتعاليم الكتاب ولم يستطع النوم حتى أنهاه.

كان في غاية السعادة لأنه سيقوم بهذه الخدعة في المرة القادمة أيضاً، ويسرق بعض الكتب ليتسلى ريثما تأتي نهاية الأسبوع التالي ليستبدل الكتب في كل مرة. لكن أمه اكتشفت بعد يومين وجود الكتاب في غرفته. وفوراً قامت بتبليغ منظمة المصدر العالمية وأخبرتهم أن والد الفتى يملك الكثير من الكتب وحصل ما هو متوقع، فقد تمت مكافأتها بمبلغٍ ماليٍّ كبيرٍ بينما تم اعتقال الأب وإعدامه. لحسن حظ الفتى لم تقم الأم بإخبارهم بأمر الكتاب الذي وجدته في منزلها أو إخبارهم عن حيازة ولدها لكتاب. تلك الحادثة

جعلت الفتى يشعر بالذنب الشديد وبأنه المسؤول عن موت والده.

وفي أقل من أسبوعٍ قدم لأمه المخدرة بسبب مفعول الفايكودين كأس عصيرٍ، وبعد أن شربته بقليل سقطت على الأرض وهي ترتعش وتنتفض إلى أن ماتت. لقد وضع الفتى جرعةً زائدةً من الفايكودين وخلطها مع العصير، ومن ثم خرج من منزله وتوجه إلى مكان المكتبة، ولحسن حظه أن أبناء الحرية لم ينقلوها بعد، ومنذ ذلك الوقت أصبح الفتى يسكن في المكتبة، ثم عُرف بعدها بسنواتٍ باسم "أمين المكتبة ميكافيلي"

الفصل السابع عشر

(المهمة الأخيرة)

بقي فقط ثلاثة أشخاص من جماعة أبناء الحرية وهم على أعتاب تحقيق غايتهم، ورغم قربهم منها إلّا أنها تبدو بعيدة المنال. خلال الأيام القليلة التي تلت لقاءهم بالدخان الأبيض في مكتبة الأكاشا السحرية، بدؤوا بمراقبة المدينة الفيكتورية للبحث عن المبنى ذي الحراسة المشددة. كان الأمر صعباً في البداية حيث لا يوجد في الطرقات سوى أعضاء منظمة المصدر العالمية ولا يمكنهم التخفي بين سكان المدينة، لكن منظمة المصدر اكتشفت خطأها وخففت إجراءات الحظر بسبب الغضب المتزايد الذي شعروا بانتشاره على مواقع التواصل الاجتماعي. كان الأمين في ذلك الوقت يراقب ويحاول التواصل مع كل شخص يشعر بأنه ساخط على المنظمة، ويحاول إشعال غضبهم أكثر، بينما كان كلٌّ من سبيرت ومايند يخرج للبحث عن المبنى إلى أن وجداه في اليوم الثالث لفك حظر التجوال. كان مبنىً قرميدياً ضخماً وأسواره عاليةٌ جداً ويحيط به أعضاء منظمة المصدر من كل جهة. كان من المستحيل على ثلاثة أشخاص فقط اقتحامه، ومع ذلك فإن الأمين يمتلك قدراتٍ استراتيجيةً مذهلةً وهو بارعٌ في التخطيط. لكن ما كان يقلقه حقّاً هو مداهمات المنظمة لجميع المباني في كل مدن العالم، وكأن المنظمة قد قررت إيجاد مكتبة الأكاشا وتدميرها حتى لو كلفها ذلك خسارة سمعتها بين الناس! فأصبح الأمر وكأنه سباقٌ بين الجماعتين، من يستطيع تدمير مكتبة الآخر أولاً سيكون هو المنتصر الحقيقي.

وفي أحد الأيام اجتمع الأمين ومايند وسبيرت في مكتبة الأكاشا السحرية لوضع الخطة التي سيقومون بها لاقتحام المبنى الذي تستحوذ عليه مكتبة العلوم المحرمة السحرية، قال الأمين:

ـ في الوضع الحالي لا يمكننا اقتحام مكتبة العلوم المحرمة، فالحراسة مشددةٌ هناك، سيكون من التهور الذهاب، وبحسب استطلاعكما فإن جميع الأعضاء هناك ليسوا حملة كتبٍ ومع ذلك لا يوجد ما يضمن عدم وجود أحدٍ من حملة الكتب الخاصين بالمنظمة بداخلها، لذا علينا تقليل الحراسة الموجودة هناك قبل البدء بالعملية التي سأسميها "خلاص المصدر"،

عندها سأله مايند بتركيز:

ـ وكيف سنقلل الحراسة على ذلك المبنى؟

أجاب الأمين:

ـ بالتشتيت، سنجعلهم يعتقدون أننا سنستهدف مبنى خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي من جديدٍ في المدينة الحديدية، ولذلك سيقومون بإرسال التعزيزات من المدينة الفيكتورية بما أنها أقرب مدينةٍ للمدينة الحديدية. وبالتأكيد فإنهم سيرسلون تعزيزاتٍ كثيرةً لاعتقادهم أننا هناك وسيقومون بتفتيش جميع المباني قبل أن نهرب.

ـ "وماذا لو أنهم لم يخففوا الحراسة في المدينة الفيكتورية:" سألته سبيرت،

فأجاب الأمين:

ـ هذا احتمالٌ واردٌ بالطبع، ولكن ما نحن متيقنون منه أنهم لن يستطيعوا إرسال تعزيزاتٍ من المدينة الحديدية إلى الفيكتورية، وذلك بسبب الفوضى الكبيرة التي سنسببها لهم.

فسأل الاثنان:

_ كيف سنفعل ذلك بينما نحن موجودون في المدينة الفيكتورية؟

أجاب الأمين مبتسماً بنظرةٍ خبثٍ:

_ لسنا نحن من سنقوم بذلك، فبينما كنتما تبحثان عن المبنى المشدد الحراسة، كنت أتفق مع بعض الحلفاء الغاضبين والذين لم يعد بإمكانهم السكوت بعد المعلومات التي أضفناها في نظام شجرة المعرفة الرقمي. سأقدم لهم بعض الأدوات التي سيستفيدون منها في تحقيق مبتغانا، ويمكنني تحريكهم متلما أريد.

قال مايند بحماسٍ عارم:

_ إذاً؟ متى سنبدأ؟

أجاب الأمين:

_ انتظر يا مايند واصبر، لتحقيق أكبر استفادةٍ من هذه الخطة، يجب أن يكون توقيتنا مثالياً. ولا يوجد وقتٌ أفضل من ليلة رأس السنة التي ستصادف بعد 10 أيام، ستضطر منظمة المصدر إلى تركيز إجراءاتها الأمنية في ذلك اليوم على الاحتفالات التي ستقام، وبذلك سيسهل على الأتباع الذين وجدتهم ضرب رمز المنظمة، التماثيل الثلاثة للمؤسسين في مركز المدينة. لن تتهاون المنظمة مع فعلٍ كهذا، فهو تحدٌ صريحٌ لأساسيات المنظمة، وسيتزامن معه بعض الفوضى عند مبنى خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي. في ذلك الوقت سنكون نحن في المدينة الفيكتورية بالقرب من المبنى المشدد الحراسة، وسوف تقتحمان المبنى وتدمران مكتبة العلوم

المحرمة للأبد، وبهذا سيتدمر أساس منظمة المصدر العالمية.

سألته سبيرت بقلق:

_ ما نسبة نجاح المهمة برأيكَ؟

أجاب الأمين بعد أن توقف لبرهةٍ للتفكير:

_ يمكنني إخباركما بأن نسبة نجاح المهمة عاليةً، لكن بعد كل ما مررنا به لن أكذب عليكما، لا أعتقد أن نسبة نجاح المهمة تتجاوز الثلاثين بالمئة، فهناك الكثير من المتغيرات التي يمكن أن تحدث والقليل من الثوابت التي يمكن الاعتماد عليها! ..... على كل حالٍ أعتقد أن الخطة واضحةٌ جداً، ستحتاجان إلى بعض الكتب التي تملك شخصياتٍ مختلفةً وقويةً لزيادة فرصة نجاح المهمة. أريدكما أن تبقيا في المكتبة في الأيام العشرة المقبلة، وأن تركزا على قراءة المزيد من الكتب واختيار الكتب التي ستحملانها معكما في ليلة رأس السنة، أما أنا فسأقوم بدور مركز القيادة للتنسيق بين هجمات الساخطين على المنظمة وبين هجومكما على مكتبة العلوم المحرمة.

وبعد أن قام الأمين بالتثبت من أن كل شيءٍ واضحٌ بالنسبة لهما عاد إلى حاسوبه وتركهما. لاحظ مايند عندها قلق سبيرت فسألها:

_ هل أنتِ بخير يا سبيرت؟

ارتعدت شفاه سبيرت وكأنها على وشك البكاء وقالت:

_ لا أعلم يا مايند .... لا أعلم.

تعجب مايند من رد سبيرت، فقد لاحظ أنها ليست على طبيعتها

منذ أن استطاعا العودة إلى مكتبة الأكاشا، لكنه لم يعتقد أن الأمر يؤثر فيها لدرجة أن يجعلها تبكي. وضع يده على كتفها وقال:

_ أخبريني يا سبيرت ما بكِ؟ تعلمين أنكِ تستطيعين التحدث معي عن أي شيء.

أجابت وقد فاضت دموعها واحتضنت مايند:

_ لقد تعبت يا مايند .... تعبت من كل الذي يحدث، لماذا أنا موجودةٌ في وسط كل هذه الفوضى؟ لماذا يجب علي القتال دائماً؟ أريد أن أستسلم، أريد أن أعيش حياةً عادية، لقد كنت أحاول إقناع نفسي دائماً بأني سيدة قدري، لكن انظر، لقد تم إدراجي في التربية الأفلاطونية دون إرادتي! كان يجب علي أن أتبع الأوامر بدون نقاش، لم أكن أرغب في قبول مهمتهم باختراق جماعة أبناء الحرية. لقد تعبت جداً يا مايند من كل الذي يحصل في حياتي، لقد تعبت من أن أكون دميةً في يد القدر يحركها كيفما يشاء.

واصلت سبيرت البكاء بين ذراعي مايند، فقد كانت طوال حياتها تتصنع القوة والثبات، لكنّ لكل إنسانٍ قدرةٌ على التحمل، وقد تجاوزت سبيرت حدها الأقصى من التحمل منذ مدةٍ طويلةٍ لأنها لم تجد من تستطيع مشاركته ما تشعر به. كانت تشعر برغبةٍ في الصراخ في وجه القدر: "أنا لست ملكاً لك ولا لأي أحد"، إلّا أن شهيقها العالي الذي يتردد في صدرها من كثرة البكاء منعها من نطق أي كلمة. ضغط مايند بذراعيه على جسدها وهو يحتضنها وكأنه يخبرها: "سيكون كل شيءٍ على ما يرام"، وبقيا على تلك الحالة إلى أن تعبت سبيرت من البكاء وشعرت بأنها منهكةٌ جسديّاً وعقليّاً، فنظر

لها مايند وقال:

ـ من الأفضل أن ترتاحي الآن، وسنتحدث لاحقاً، لا تقلقي سأكون بجانبكِ إلى أن تستيقظي.

بعدها أمسك يدها وأدخلها إلى الغرفة الصغيرة التي في مكتبة الأكاشا السحرية، وجلس بجانبها إلى أن غطت في نومٍ عميق.

خرج بعدها مايند من الغرفة ليجلب كتاباً ويبدأ بقراءته، فوجد الأمين ينظر إليه، فقال له:

ـ ما الذي حدث يا مايند؟ لماذا كانت سبيرت تبكي بهذا الشكل؟

نظر له مايند بحزنٍ على حال سبيرت، وقال:

ـ يبدو أنها قد عانت الكثير أيها الأمين، لنعطها بعض الوقت لترتاح.

ثم ذهب باتجاه أحد الرفوف وسحب كتاب "الأوديسية"* (هامش: الأوديسية هي ثاني ملحمة إغريقيه لهومر وتعتبر تتمةً لملحمة الإلياذة، وتحكي عن أوديسيوس ورحلته بعد حرب طروادة إلى وطنه التي استغرقت عشر سنوات) وعاد ليجلس بجانب سبيرت، يقرأ تارةً وينظر لسبيرت النائمة تارةً أخرى. واصل القراءة وهو يتتبع رحلة أوديسيوس إلى أن وصل إلى جزيرة آكلي اللوتس "لوتوفاجي"* (هامش: في جزيرة آكلي زهرة اللوتس "لوتوفاجي" توجد زهرة لوتس خاصة حيث إن من يأكلها ينسى جميع ذكرياته).

تلك الفكرة جعلته يتساءل عما إذا كانت سبيرت تحتاج لشيءٍ مثل هذا لتنسى جميع المشاعر السيئة التي عاشتها؟ ما لبث طويلاً يفكر

في تلك الفكرة حتى ابتسم وقال في نفسه:

ـ إن مايند القديم يظهر بين الحين والآخر، الهرب من الأشياء الشاقة هو اختصاص نسختي القديمة، وليس من الجيد طرح فكرة الهرب من هذه الذكريات لسبيرت.

أخذ مايند نفساً عميقاً ثم واصل القراءة إلى أن غلبه النوم وهو على الكرسي.

استيقظت سبيرت بعدها بساعاتٍ ووجدت أن مايند ما يزال بجانبها، ابتسمت لفكرة أنه لم يخلف بوعده ولم يتركها أثناء نومها. أيقظته بصوتٍ هادئٍ وهي تقول:

ـ مايند، استيقظ، سيؤلمك ظهرك إن واصلت النوم على الكرسي

استيقظ مايند وفوراً سألها:

ـ كيف حالك الآن؟

ابتسمت عندها سبيرت بتصنعٍ وقالت:

ـ بخيرٍ لا تقلق

عندها اعتدل مايند في جلسته وأمسك يديها بكلتا يديه وقال:

ـ لا يوجد شيءٌ يجبرك على خوض المزيد من الأمور التي لا ترغبين فيها، يمكنك البقاء في المكتبة إلى أن ننتهي من المهمة، ثم سنقوم أنا وأنتِ بالمغادرة وترك كل شيءٍ وراءنا .....

قاطعته سبيرت وهي تقول:

ـ لا يا مايند، سأواصل العمل معكما حتى النهاية، فقبل أن نقضي

على منظمة المصدر العالمية لن يكون لنا مكانٌ آمنٌ كليّاً، سنعيش في خوفٍ يوميٍ من اكتشافهم لمكان وجودنا. يجب علينا أن ننهي هذه المهمة ونتخلص من يد القدر اللعينة إلى الأبد.

_ هل أنتِ واثقةٌ من ذلك؟

أومأت سبيرت برأسها بالإيجاب، ثم حاولت تغيير الموضوع وقالت وهي تنظر إلى الكتاب الذي في حجره:

_ إذاً أخبرني ماذا تقرأ؟

نظر مايند للكتاب وقال:

_ إنها الأوديسية، أعتقد أني سآخذه معي في المهمة القادمة.

أجابت سبيرت:

_ أوه إنه كتابٌ جميلٌ حقّاً، لقد قرأته من قبل، ..... يجب أن أبدأ بالقراءة أيضاً وأتجهز للمهمة القادمة، أعتقد أنه سيكون من الصعب اختيار الكتب التي سنحملها معنا.

وبعدها تركت مايند وخرجت لجلب كتابٍ بعد أن أخبرته بأنها ستعود ليجلسا معاً ويقرأا في صمتٍ ثم يتناقشا في موضوعات الكتب التي يقرأانها.

الفصل الثامن عشر

(لقد كان وهماً)

جميع الناس في أنحاء العالم يستعدون هذه الليلة لاحتفالات رأس السنة. ورغم أن الأغلبية يشعرون بسعادةٍ عارمةٍ إلّا أن هناك من يخفق قلبهم باضطرابٍ لأنهم لا يعلمون ما سيكون مصيرهم بعد هذه الليلة. الكل متأهبون في داخل مكتبة الأكاشا السحرية التي تم نقلها إلى المدينة الفيكتورية قبل ساعاتٍ فقط. بينما يراقب الأمين تحركات الجماعات التي جندها وقد مدهم بسماعاتٍ لاسلكيةٍ وأدواتٍ لإتمام مهمتهم على أكمل وجهٍ. لم يكن من الصعب عليهم الاندماج بين الحشود وتفخيخ التماثيل الثلاثة للمؤسسين. فالشوارع مزدحمةٌ بشكلٍ لا يصدق كما هي العادة في كل عامٍ في هذه الليلة.

كان كلٌ من سبيرت ومايند قد استعد تماماً لبدء المهمة، فقد حزما حقيبتيهما وأخذا الكتب التي يعتقدان أنهما سيحتاجانها. يمسك كل واحدٍ منهما بيد الآخر وينتظران إشارة البدء من الأمين. كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة ليلاً، والأمين يهز رجله بكل توترٍ وهو ينظر إلى عقارب الساعة، ويشعر بأن قلبه سيفقد تركيزه في أي لحظةٍ وينسى أن يضخ الدم مرةً أخرى بسبب ما يعتريه من قلق. ورغم ذلك حاول التصرف بشكلٍ طبيعيٍ، ثم بدأ يتكلم مع الجميع عن طريق السماعات اللاسلكية ويقول:

_ "المغامرون هم ببساطةٍ أولئك الذين يفهمون أنه لا يوجد فارقٌ كبيرٌ بين العقبة والفرصة، وهم قادرون على تحويلها كلها لمصلحتهم"* (هامش: من أقوال نيكولا ماكيفيلي) ونحن سنحول هذه الفرصة لنصرٍ عظيم،

ثم صمت قليلاً وعاد وقال مرةً أخيرةً عبر السماعات:

_ هل الجميع مستعدون؟ لقد بقيت دقيقةٌ واحدةٌ على البدء.

أجابه صوت أحد الأشخاص المسؤولين عن تدمير التماثيل الثلاثة وقال: "نعم نحن مستعدون" ثم أتبع بعدها صوتٌ آخر من المسؤولين عن اقتحام مبنى خوادم نظام شجرة المعرفة الرقمي يقول: "بالتأكيد نحن ننتظر إشارتك". تتساقط حبات العرق الصغيرة عن جبين الأمين وقد بدأ العد التنازلي: . عشرة. تسعة. ثمانية ..... ثلاثة. اثنان. واحد. وصرخ بأعلى صوته:

_ فليبدأ الاحتفال!

ما أن أنهى الأمين جملته حتى شرع المسؤولون عن تدمير التماثيل الثلاثة في مهمتهم وضغط أحدهم على زر تفعيل الفخاخ التي وضعوها في التماثيل الثلاثة. كان التأخر ثانيةً واحدةً فقط بين الضغط على الزر والضوء القوي لاشتعال النيران التي صدرت بعد الانفجار، لو أن أي شخصٍ كان يقف فوق أحد المباني ويشاهد المنظر من الأعلى، لتساءل كيف أن كل شيءٍ قد ينقلب رأساً على عقبٍ في ثانيةٍ واحدةٍ فقط؟ هل ثانيةٌ واحدةٌ هي حقّاً مدةٌ كافيةٌ ليحدث كل هذا الدمار؟ نحن دائماً ما نستهين بالثانية ولا نعلم بأننا دائماً بعيدون عن مستقبلٍ مجهولٍ فقط بمقدار ثانيةٍ واحدة. فبعد ثانيةٍ واحدةٍ قد تجد سعادتك بينما هناك شخصٌ آخر ينتظره الموت بعد تلك الثانية نفسها! وتلك الثانية كانت الحدّ الفاصل بين من يحتفلون بالقرب من التماثيل الثلاثة والحدث الذي سيغير حياتهم للأبد. حيث خطف الصوت المدوي للانفجار قلوبهم وامتلأ الهواء بالدخان الأسود المتصاعد من ألسنة النيران المتراقصة، وبدأ حطام

التماثيل الثلاثة ينهال من السماء ويتناثر في كل مكان، ونتج عنه سقوط كل تلك الأجساد المرمية على الأرض مضرجةً بالدماء، بينما يهرب الناجون بذعرٍ لم يسبق لهم الشعور به. بكاء الأطفال يعلو في بعض الأماكن وصراخ آخرين في أماكن أخرى. أما الجماعة التي جندها الأمين فقد كانوا مختبئين ويراقبون المكان في انتظار وصول أعضاء منظمة المصدر العالمية لتطويق المكان. مرت عشر دقائق حتى عج المكان بأعضاء المنظمة، عندها قال المسؤول الذي كان يراقب:

_ أيها الأمين لقد وصلوا.

عندها صرخ الأمين عبر السماعات:

_ لتبدأ المرحلة الثانية الآن.

عندها قام القسم الثاني الذي ينتظر عند مبنى الخوادم باقتحام المبنى، لكن المنظمة قد وضعت حراسةً مشددةً بعد أن اقتحم أبناء الحرية المبنى في السابق، مما جعل اقتحامها صعباً، وهذا ما كان يريده الأمين، يريد من الحراس أن يطلبوا الدعم لتزداد حالة الذعر عند المنظمة، إلّا أن الأمين لم يكن يريد أي شيءٍ أكثر من رسالةٍ من شخصٍ قد وضعه عند حدود المدينة الحديدية وسيخبره بمجرد وصول الدعم من المدينة الفيكتورية. مرت نصف ساعةٍ والجميع مشدودو الأعصاب، إلى أن سمعوا صوتاً عبر السماعات يقول:

_ إن الدعم قادمٌ من المدينة الفيكتورية بأعدادٍ كبيرةٍ جداً.

عندها استدار الأمين لكلٍّ من سبيرت ومايند وقال لهما:

- تلك إشارتكما.

أسرع الاثنان بالخروج من مكتبة الأكاشا السحرية، واتّبعا الأزقة التي قررا العبور منها ليصلا إلى مبنى مكتبة العلوم المحرمة بسلامٍ دون الوقوع في براثن أعضاء منظمة المصدر العالمية، وما أن وصلا حتى كانت الحراسة على المبنى قد تزايدت عن آخر مرةٍ أتيا فيها، قال مايند:

_ أيها الأمين، إن الحراسة قد أصبحت أكثر تشدداً، ولن يمكننا الدخول بهدوء، أعتقد أن أعدادهم أصبحت بالمئات.

أجاب الأمين:

_ إذاً فلننتقل للخطة ج

نظر مايند لسبيرت وقال:

_ هل أنتِ واثقة من أنكِ لا ترغبين بالبقاء في المكتبة إلى أن ينتهي الأمر؟

أجابت:

_ من المستحيل أن أتركك تواجه كل هذا وحدك.

خرج الاثنان من المكان الذي كانا يراقبان المبنى منه وتوقفا في منتصف الطريق بكل وضوحٍ أمام نظر جميع الحراس في ذلك المكان، عندها صرخ أحد الحراس فيهما:

_ إن هذا المكان محظورٌ على العامة، ابتعدا قبل أن نقوم باعتقالكما.

عندها أخرج مايند كتاب "جنكيز خان وصناعة العالم الحديث"* (هامش: كتاب جنكيز خان وصناعة العالم الحديث للبرفيسور جاك ويذرفورد، وفيه يتتبع حياة جنكيز خان ويعطي نظرةً حياديةً عن أفعاله بعكس ما هو متعارفٌ عليه) وقام بفتح الكتاب وقال:

_ اخرجوا يا جيوش جنكيز خان.

وعندها خرجت راية الروح* (هامش: راية الروح لجنكيز خان، التي حملها في غزواته وهي مصنوعةٌ من شعر الخيل) من الكتاب وانغرست أمام مايند وسبيرت، وظهر خلفهما آلاف المحاربين المغوليين. لم يستوعب حرس منظمة المصدر ما حدث أمامهم رغم أن جميع الحراس هنا هم من النخبة، لكن الأعداد الكبيرة للجيش المغولي قد جعلت أعضاء المنظمة يرتجفون خوفاً. أشار مايند بيده نحو المبنى وانطلق الجيش الذي خلفه بكل قوته نحو أعضاء المنظمة. ارتفع صوت تلاحم سيوف المغول مع هراوات حرس المنظمة المعززة حتى أصبح يصم الآذان. بينما كان مايند وسبيرت يراقبان تلك الحرب الطاحنة ويحاولان إيجاد منفذٍ لهما لكي يدخلا إلى مكتبة العلوم المحرمة. وجد الاثنان فرصةً للتسلل بين الجنود لكن قبل تحركهما ظهر ذئبٌ عملاقٌ مربوطٌ بسلاسل مقطوعةٍ بجانب أعضاء المنظمة الذين بقيَ منهم القليل فقط. كان ارتفاع الذئب الرمادي يصل إلى أربعة أمتارٍ ويسيل اللعاب من فكه الكبير ومن بين أنيابه الحادة. خرج زارا سيد الوحوش من باب المبنى وهو يحمل كتاباً مفتوحاً. واقترب من الذئب العملاق وقال:

_ أحسنت يا فنرير* (هامش: فنرير هو ذئبٌ عملاقٌ وابن لوكي في الأساطير النوردية "الاسكندنافية"، وقد ربطته الآلهة بسلاسل خوفاً

من قوته الكبيرة)

قالت سبيرت:

_ اللعنة، كما توقعنا هناك حملة كتبٍ هنا

قام الذئب فنرير بتمزيق جيش المغول بشكلٍ شرسٍ، فكيف يقومون بالصمود أمام وحشٍ تهابه جميع الآلهة الاسكندنافية؟ عندها صرخت سبيرت لكي يسمعها زارا:

_ زارا، لطالما كنت تمتلك حساً عالياً بالعدالة، وأنت تعرف جيداً أن البشر من حقهم أن يفكروا بحريةٍ، أليس كذلك؟

تقدم زارا ببطءٍ ووقف مرةً أخرى بجانب الذئب الذي كان يمضغ أحد جنود المغول بفمه:

_ وأي حريةٍ هذه وأنتم تقومون بتخريب المدينة؟ لا أعلم ماذا جرى لكِ يا سبيرت، لقد كنا صديقين في طفولتنا، ربما بعد أن كبرنا أصبحنا خصمين لكن كنت ما أزال أكن لكِ كل الاحترام! أما أن تخوني مبادئكِ والمنظمة التي تربيتِ فيها، فذلك شيءٌ مقززٌ ولا يمكن غفرانه لكِ

صرخت سبيرت مرةً أخرى:

_ إنك لا تفهم الأمر بشكلٍ صحيحٍ، لقد كنت ضحية لمخططات القائد الأع.....

قاطعها زارا غاضباً:

_ لا أريد سماع أي كلمةٍ من كذبك أيتها الخائنة المقيتة، لقد سمح

القائد الأعلى بتصفيتكِ أخيراً.

وقام بأمر فنرير بالهجوم عليهما، أخرجت سبيرت كتاب "كونجاكو مونوغاتاري شو"* (هامش: كونجاكو مونوغاتاري شو وتعني "مجموعة قصص الماضي" وهو مجموعةٌ تحوي أكثر من ألف قصةٍ مستقاةٍ من الديانة البوذية) وفتحته وقالت:

_ اخرجي أيتها الثعلبة كيتسوني* (هامش: كيتسوني هي ثعلبةٌ ذات تسعة ذيولٍ من الفلكلور الياباني، يقال بأنها ذكيةٌ وماكرةٌ ويمكنها استخدام سحر الوهم كما يمكنها التحول إلى بشريةٍ جميلة)

خرجت تسعة ذيولٍ بيضاء طويلةً من وسط الكتاب، وما لبثت حتى وقفت بجانب سبيرت ومايند ثعلبةٌ بيضاء رشيقةٌ وذات عينين زرقاوين. أمسكت سبيرت بيد مايند سريعاً وامتطت الثعلبة كيتسوني التي هربت من هجمات فنرير المتوحشة، ووقفت فوق أحد المباني القريبة، وعندها قالت سبيرت لزارا:

_ توقف يا زارا، لا أريد قتالك.

لم يرد زارا عليها بل إنه أخرج كتاباً آخر وفتحه بيده الأخرى وقال:

_ اخرج أيها الكلب ذو الرؤوس الثلاثة سيربيروس

وخرج الكلب من الكتاب، فأصبح في جانبٍ الكلب سيربيروس وفنرير، وفي الجانب الآخر الثعلبة كيتسوني، وكأنها أصبحت حرباً بين مخلوقات الحضارة اليونانية والاسكندنافية ضد الحضارة اليابانية! بقيت سبيرت ومايند في أعلى المبنى الذي وقفت عليه

كيتسوني، بينما نزلت كيتسوني لمواجهة المخلوقين الاثنين. لم يكن لها فرصةٌ للنجاة قبل قدوم الكلب سيربيروس، أما الآن فتعتبر فرصتها معدومةً، فهما أكبر حجماً وأكثر شراسةً منها. لم يطُل الأمر قبل أن تصبح كيتسوني ضحيةً لفك كلا المخلوقين، فقد قاما بتمزيقها إلى أشلاء في وقتٍ قصير، وبعدها نطح الذئب فيرنر المبنى الذي يقف عليه كلٌ من سبيرت ومايند فتهدم تحت أقدامهما وسقطا من ارتفاعٍ كبير. تحطمت بعض عظامهما جراء اصطدامهما بالأرض، صرخ مايند وهو يحاول النهوض لكن كسوره منعته من ذلك:

_ سبيرت .... سبيرت

كانت سبيرت مرمية على الأرض بدون حراك، بينما يتقدم كلٌ من زارا والذئب فنرير والكلب سيربيروس نحوها. بدأ مايند بالزحف باتجاه سبيرت وهو يصرخ:

_ أفيقي يا سبيرت.

وعندها تذكر أنه يوجد طبيبٌ بأحد الكتب التي بحوزته يمكنه معالجة سبيرت، بصعوبةٍ قلب نفسه واستلقى على ظهره وبيده المكسورة أخرج الكتاب وهو يصرخ من شدة الألم، فتح الكتاب وقال:

_ اخرج يا .....

لكن ركلةً من قدم زارا قاطعت مايند وأطاحت بالكتاب بعيداً عنه. أخذ زارا نفساً عميقاً وهو يحاول تهدئة نفسه، ومع ذلك لم يستطع السيطرة على غضبه فقام بركل مايند مراراً وتكراراً وهو يصرخ:

ـ لقد غسلتم دماغها، لقد قمتم بجعلها تنضم إليكم أيها الحمقى، كل ما تفعلونه هو الفوضى وحسب.

واصل زارا الركل إلى أن كاد مايند يلفظ أنفاسه الأخيرة ثم قام بسحبه من شعره وقال في وجهه:

ـ لو لم تقوموا بخداعها لكنّا أنا وهي الآن بعضنا مع بعض سعيدين.

ثم ترك مايند الذي يتنفس بصعوبة ورأسه مضرجٌ بدمه وذهب ووقف بجانب سبيرت وقال بصوتٍ حزين:

ـ ربما تكون غلطتي، لو أني اعترفت لكِ بحبي بدل التصنع والتظاهر بأني منافسٌ لكِ طوال هذا الوقت ..... ربما لو أني أخبرتكِ بحجم رغبتي بالبقاء معكِ لما رحلتِ عنا! أنا آسفٌ يا سبيرت، أعتقد أنها كانت غلطتي، لكن لا يمكنني مسامحتكِ على خيانة المنظمة أبداً.

وعندها رفع يده في إشارة إلى فنرير للهجوم عليهما، وقبل أن ينزل يده أحس بضربةٍ على رجله اليسرى وبدأ يتهاوى على الأرض وسقط، وسقط من يده كتاب "الأساطير النوردية" الذي أخرج منه فنرير. لم يستوعب ما جرى لبضع لحظات، نظر إلى قدمه ليجد رجله اليسرى مبتورةً، رفع بصره ليرى كلّاً من مايند وسبيرت وكيتسوني التي تحمل قدمه اليسرى بفمها يقفون أمامه وكأن شيئاً لم يمسهم بتاتاً، نظر ليده الأخرى فرأى أنه لم يخرج كتاباً ثانياً وكلب سيربيروس غير موجود. رفعت سبيرت سريعاً كتاب الأساطير النوردية وأشعلت فيه النار، وبدأ عندها فنرير بالتحلل والاختفاء قبل

أن يصبح له وعيٌ بذاته، قال زارا:

_ ما الذي حدث يا سبيرت؟

أجابت بوجهٍ حزين:

_ لقد كان وهماً، منذ أن خرجت كيتسوني فإن كل ما رأيته كان وهماً.

أراح عندها زارا رأسه على الأرض وقال:

_ يبدو أنكِ انتصرتِ مرةً أخرى.

_ نعم، هو كذلك فعلاً

عندها قال مايند:

_ هيا لنذهب لا نملك الكثير من الوقت.

أسرعا عندها وذهبا باتجاه المبنى الذي يضم مكتبة العلوم المحرمة وفتحا الباب، وقف الاثنان بذهولٍ عندها فالمكان خالٍ من أي شيءٍ، لا يوجد أثرٌ للمكتبة، وهو مجرد مبنىً عاديٌ. صرخ مايند بغضب:

_ اللعنة، هل كانت خدعة؟

عندها سمعا صوت قهقهة زارا وهو يقول:

_ هل اعتقدتما أننا سنترك المكتبة في مكانها بعد ما سمعنا عما حصل في المدينة الحديدية؟ يا لكما من غبيّين حقّاً!

أسرع مايند باتجاهه وأمسكه من ثيابه وهو يهزه ويقول:

_ أين نقلتم مكتبة العلوم المحرمة؟ أجبني

عندها سمع الاثنان صوت الأمين وهو يقول عبر السماعات:

_ لا يوجد وقتٌ يا مايند، أسرع وأحضره لنقوم بتعذيبه واستخراج المعلومات منه.

عندها صرخت سبيرت:

_ لا، لن نقوم بتعذيبه

فقال زارا:

_ هل تعتقدان أنكما ستستخرجان أي معلومةٍ مني؟ هل نسيتِ إلى أي درجةٍ يصل ولائي للمنظمة يا سبيرت؟

وقبل أن تجيبه سبيرت قام زارا بعضّ لسانه وقطعه لكي لا يتمكن من التفوه بأي معلومةٍ عن المنظمة.

صُدم الاثنان من فعلته وجعلتهما في حيرةٍ من أمرهما، فقد تكون مكتبة العلوم المحرمة في أي مكانٍ في العالم ولا يوجد لديهم دليلٌ واحد لمعرفة مكانها.

الفصل التاسع عشر

(مصير المكتبتين)

جلست سبيرت حزينةً بجانب جثة زارا، بينما كان مايند يراقب المكان في حيرةٍ من أمره ويفكر ماذا ستكون خطوته التالية، بينما كانت الثعلبة كيتسوني تحميهما من الأعداد القليلة المتبقية من أعضاء المنظمة في الساحة، والتي أتت للدعم، قال مايند عبر السماعات:

_ ما هي الخطوة التالية أيها الأمين، هل نقوم بالتراجع؟

لم يرد الأمين على مايند فعاود سؤاله مرةً أخرى:

_ أيها الأمين هل نقوم بالتراجع؟ ربما تكون التعزيزات التي أرسلتها المدينة الفيكتورية إلى المدينة الحديدية في طريق عودتها إلى هنا بعد اقتحامنا للمبنى.

صرخ الأمين عندها بعصبية:

_ دعني أفكر للحظة!

ورغم أن الاثنين لا يستطيعان رؤية الأمين لكنهما شعرا بتوتره وقلقه البادِيين على صوته، فقد حلم لسنين طويلةٍ بتدمير منظمة المصدر العالمية ولكن هذه المرة الأولى التي يصبح فيها بهذا القرب من تحقيق نصره، طال صمت الأمين وبعدها بدأ بالصراخ والشتم واللعن، كانت سبيرت ومايند يسمعان وكان الأمين في ثورة غضبٍ ويحطم بعض الأشياء، وما أن تمالك نفسه حتى قال لهما وقد عزَّ عليه قول تلك الكلمات:

_ لقد فشلت المهمة، أعتقد أنه من الأفضل لكما الرجوع في الحال، سأنتظركما، ثم سننقل مكتبة الأكاشا السحرية لمكانٍ آخر، ونفكر

بخطةٍ أخرى جديدة.

تعجبت سبيرت عند سماعها ذلك فهي تعرف جيداً أن الأمين مستعدٌ للتضحية بكل شيءٍ وبكل شخصٍ في هذه الدنيا لإكمال المهمة! ومن المستحيل له أن يقوم بإيقافها، فهو لم يفعلها من قبل حتى لو مات جميع من في المهمة. ابتسمت عندها لفكرة أن الأمين ربما يملك مشاعر وقد تغير حقّاً، وعندها نهضت وابتعدت عن جثة زارا ونادت على الثعلبة البيضاء كيتسوني لتأتي إلى جانبها وقالت لمايند:

ـ يجب أن نذهب قبل أن يغير الأمين رأيه وينقل المكتبة قبل وصولنا.

امتطى كلٌ من مايند وسبيرت الثعلبة كيتسوني وانطلقت بهما مسرعةً تشق الطرقات، وتهجم على أي عضوٍ من أعضاء المنظمة أو الفلافي بافي الذين يقابلونها في الطريق. تخترق كل شيءٍ كما السهم الذي يخترق الهواء إلى أن توقفت في منتصف الطريق وكشرت عن أنيابها، نظر الاثنان أمامهما ليجدا الدخان الأبيض يعترض طريقهما، نزل مايند عن ظهر كيتسوني وقال:

ـ لقد نقلوا مكتبة العلوم المحرمة قبل أن نصل لها.

رد الدخان الأبيض:

ـ أعلم ذلك، لذا أسرعت في البحث عن مكانها الحالي وما أن وجدته حتى جئت مسرعاً إليكما، إنها ما تزال في المدينة الفيكتورية، وهي في مبنى الاجتماعات الذي تم أسر سبيرت فيه سابقاً.

عندها خاطب مايند الأمين عبر السماعات:

_ هل سمعت ذلك أيها الأمين؟

رد الأمين وقد عاوده الحماس مرةً أخرى:

_ نعم سمعت ذلك، تبدل الهدف إلى مبنى الاجتماعات، يمكنكما فعلها، سنقضي على منظمة المصدر العالمية مرةً وإلى الأبد.

وما أن عاود مايند النظر باتجاه الدخان الأبيض حتى رآه يتلاشى في الهواء، ثم عاد وامتطى الدعلبة وقال لسبيرت:

_ مستعدة؟

فأجابت:

_ فلننهِ هذا الأمر

وانطلقت كيتسوني مسرعةً بعد أن وضعت مبنى الاجتماعات نصب عينيها. لدى وصولهما إلى هناك، كان الجو هادئاً بشكلٍ مخيفٍ جداً، لا أحد يحرس الباب أو المبنى، قالت سبيرت:

_ هل تعتقد أنه فخ؟

_ لا أعلم يا سبيرت، يجب أن نتحقق من الأمر قبل دخولنا فمن المستحيل أن يجعلوا مكتبة العلوم المحرمة السحرية بدون حراسة هكذا.

نزل الاثنان عن ظهر كيتسوني وتقدما نحو الباب بحذرٍ، وقبل أن يصلا ببضعة أمتارٍ فتح باب المكتبة ببطءٍ مما مكنهما من رؤية المكتبة هناك، ورغم ذلك لم يتسنّ لهما الفرح فخرجت عشرات

مخلوقات الفلافي بافي من مكتبة العلوم المحرمة، وكلهم في حالة الغضب الحمراء وأنيابهم المدببة بارزة وجاهزة للانقضاض. صرخ مايند وهو يمسك كتف سبيرت للتراجع:

_ إنه فخٌ كما قلتِ!

أمرت سبيرت الثعلبة كيتسوني بالهجوم على المخلوقات الصغيرة بينما كانا يتراجعان، وفجأةً صرخ مايند من شدة الألم لأن أحد الفلافي بافي قد غرس أنيابه في قدمه. أسرعت سبيرت وركلت المخلوق بعيداً ونظرت خلفها لتجد العشرات من المخلوقات يخرجون من الأزقة التي خلفهما أيضاً، لقد أصبحا محاصرين ولا يمكنهما الهروب، فمن أمامهما يخرج الفلافي بافي من المبنى بدون توقف، بينما يحيط بهما العشرات الذين يخرجون من الأزقة، وقفت سبيرت بجانب مايند وسألته:

_ هل أنت بخير يا مايند؟

_ لا عليك يمكنني تحمل ذلك، ثم أخرج من حقيبته كتاب الأوديسة ونادى:

_ اخرج يا أيها السيكلوب بوليفميوس* (هامش: بالعربي يسمى (صقلوب) ومعناه دائري العين، والسيكلوب في الأساطير الإغريقية هو مخلوقٌ ضخمٌ ذو عينٍ واحدةٍ في منتصف رأسه ويتم تصويره دائماً بهراوةٍ ضخمة، وبوليفميوس هو أحد السيكلوب من أبناء إله البحر بوسايدون ومع ذلك فهم ماهرون في صنع الصواعق)

خرج بوليفميوس من كتاب الأوديسة وبدأ بتحطيم الفلافي بافي الذين يقتربون من مايند وسبيرت، حيث كانا يقفان في المنتصف

على بُعد بضعة أمتارٍ فقط من مكتبة العلوم المحرمة، ورغم ذلك فهما لا يستطيعان التقدم أو التراجع لأنهما بالكاد يحميان نفسيهما. مضى بعض الوقت وخفت حدة الهجمات وبدأ بوليفميوس والثعلبة كيتسوني بدحر جموع الفلافي بافي، وفجأة هربت مخلوقات الفلافي بافي من المكان وخرج شخصٌ من داخل المكتبة يحمل في يده كتاباً اسمه كتاب الموتى* (هامش: في مصر القديمة كان كتاب الموتى عبارةً عن مجموعةٍ من الوثائق لتكون دليلاً للميت في رحلته للعالم الآخر) نظر الاثنان فرأيا القائد الأعلى سيد الأساطير العجوز يخرج وقد فتح الكتاب الذي في يده وهو يقول:

ـ هل تعلمان لماذا يتم تسميتي بسيد الأساطير؟ ..... لا أعتقد أني أخبرتكِ بذلك من قبل يا سبيرت، لقد كنت أبحث عن أقوى المخلوقات لحماية المنظمة وبحثت في جميع الأساطير التي تركها العالم القديم. بحثت وبحثت ولم أجد مخلوقاً واحداً يعتبر أقوى المخلوقات! إلّا أنني وجدت ما هو أقوى من جميع المخلوقات وهو الموت، لا شيء يمكنه إيقاف الموت أبداً، وعندما وجدته عرفت أن منظمة المصدر العالمية ستكون بخيرٍ ما دام الموت هو سيد هذا العالم، وأؤكد لكما أن المنظمة لن تسقط بينما أنا القائد الأعلى لها.

نظرت سبيرت له بحدةٍ وقالت:

ـ لن تستطيع هزيمة الموت أنت أيضاً أيها القائد الأعلى.

ضحك سيد الأساطير وقال:

ـ نعم لا يمكنني هزيمته لكن يمكنني التحكم فيه، فبعد كل شيءٍ وبمجرد قتلكما وإيجاد مكتبة الأكاشا السحرية سينتهي ما تسمونه

بأبناء الحرية التافهة. هل تعتقدان حقّاً أن العالم سيصبح أفضل عندما تختفي منظمة المصدر، ويتمكن الناس من مشاركة أفكارهم التي من المحتمل ألا تكون صحيحة؟ كل ما سيفعله ذلك هو إعادة الخلافات والحرب بين البشر التي كانت تنخر العالم القديم.

صرخ مايند:

_ لست أنت من يحدد.

_ "يبدو أن الكلام معكما لن يعود بالفائدة": قالها سيد الأساطير ثم رفع الكتاب المفتوح الذي في يده وقال: "اخرج يا أول الغربيين أيها الإله أنوبيس"* (هامش: أنوبيس هو إله الموتى في الأساطير الفرعونية). بدأت الأضواء في المدينة بالتذبذب وخرج ظلامٌ من الكتاب كوّن أنوبيس الذي يملك جسداً بشريّاً ورأس حيوان ابن آوى، وبجانبه وقف مخلوق أمت* (هامش: أمت ويسمى عمعوت هو مخلوقٌ أسطوريٌ فرعونيٌ برأس تمساحٍ وجسد أسدٍ وفرس النهر)

يقال في الأساطير الفرعونية إن أنوبيس يقوم بوزن قلوب الموتى في ميزانٍ ويضع في الكفّة الأخرى ريشةً، فإذا رجحت كفة الريشة فإن الشخص يدخل الفردوس، أما إذا رجحت كفة القلب وكان أثقل من الريشة فإن أنوبيس يعطي القلب إلى أمت ليأكله ويتلاشى الشخص الميت.

وقف أنوبيس شامخاً وبيده اليسرى الميزان ذو الكفتين، عندها أمر مايند السيكلوب ذا العين الواحدة الذي أخرجه من الأوديسة بالهجوم على أنوبيس، وما أن وصل إليه حتى أدخل أنوبيس يده في صدر السيكلوب وأخرج قلبه ووضعه على الميزان، وعندها

رجحت كفة القلب فأخذ أنوبيس القلب ووضعه في فم المخلوق أمت. وعندها تلاشى السيكلوب من الوجود. فقال القائد الأعلى:

_ أخبرتكما أنه لا يوجد مهربٌ من الموت

انقضت كيتسوني على أنوبيس لكنها لاقت مصير السيكلوب نفسه فتلاشت هي أيضاً. دب الرعب في قلب كلٍّ من سبيرت ومايند، فكيف لهما أن يواجها الموت حتى أعادهما صوت الأمين للواقع وهو يقول:

_ اهربا بسرعة، لا يمكنكما مجابهة الموت نفسه

وانطلق الاثنان مسرعين بالهروب، إلّا أن إصابة مايند شكلت عائقاً أمامه فتعثر وسقط، عندها توقفت سبيرت وكادت أن تعود إليه لكنه صرخ فيها:

_ اهربي يا سبيرت فلا داعي لأن نموت كلانا!

ورغم تحذيره لم تستمع له سبيرت وعادت تحاول مساعدته للنهوض، بينما كان أنوبيس يتقدم نحوهما، بينما يقول مايند وهو يحاول إبعاد سبيرت عنه:

_ إن الأمين محقٌّ، لا يمكننا مجابهة الموت نفسه يا سبيرت، ابتعدي،

وهو يقول تلك الجملة: "لا يمكن مجابهة الموت" خطرت في باله فكرةٌ، نعم لا يمكن لأحدٍ مجابهة الموت، لكن ماذا عن شخصٍ خالدٍ لا يموت؟ عندها تذكر ساحرة الدماء أراديا وبدأ يغني أغنيتها بصوتٍ عالٍ لعلها تسمعه كما أخبرته وتأتي:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

وقفت سبيرت ذاهلةً: "لمَ يغني مايند أغنية ساحرة الدماء في هذا الوقت؟"، وقالت:

_ ما الذي تهذي به يا مايند؟

وصل أنوبيس لهما ومعه المخلوق الأسطوري أمت، مد أنوبيس يده باتجاه صدر مايند ليستخرج قلبه ويزنه، أغمض كلٌ من مايند وسبيرت عينيه، وعندها شعرا بتغير ضغط الجو بشكلٍ كبير، وسمعا صوتاً يعرفانه جيداً يغني:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

فتح كلٌ من مايند وسبيرت عينيه ليجدا أن ساحرة الدماء أراديا تقف بينهما وبين أنوبيس، وذراع أنوبيس مغروسةً في صدر

الساحرة، أخرج قلبها ووضعه في الميزان إلّا أن الكفة لم ترجح لأي جهةٍ بل بقيت ثابتةً ومتوازنة مما أثار غضب أنوبيس فأخذ القلب ووضعه في فم أمت ليأكله، ومع ذلك بقيت الساحرة واقفةً ولم تتلاشَ بل إن جسدها عاد للتجدد، لم يعرف أنوبيس ما الذي حدث أو لماذا لم تتلاشَ الساحرة؟ عندها أمسكت برأس أنوبيس وحطمته على الأرض بقوةٍ ثم جرحت يدها وخرجت الدماء من كفها وحولت الدماء إلى رماحٍ عديدةٍ انغرست في كلٍّ من جسد أنوبيس وأمت، وعندها تلاشيا من الوجود، ثم استدارت لمايند وقالت:

_ أين هو الكتاب؟

لم يعرف مايند بماذا يجيبها في تلك اللحظة فهو لم يجد الكتاب بعد لكن على الأقل قد نجا من أنوبيس، والآن عليه أن ينجو من غضب أراديا عندما يخبرها بأنه لم يجد الكتاب في مكتبة الأكاشا السحرية. قال مايند بتلعثم:

_ ل... لقد بحثت .... ف.... في مكتبة الأكاشا السحرية ولم .... أجد أي كتابٍ بعنوان "حيث كل خيالٍ حقيقة"!

تبدلت تعابير أراديا لغضبٍ شديدٍ وكأنها شعرت بالخيانة لاستدعائها إلى هنا فعاودت تشكيل رمحٍ من الدماء في يدها، إلّا أن مايند قال بسرعةٍ وهو يشير إلى مبنى الاجتماعات:

_ لقد طلبت حضورك لأن هناك آلاف الكتب في هذا المبنى، وقد كنت أحاول الدخول للبحث عن الكتاب الذي طلبته مني غير أن ذلك الشخص يحاول منعنا من الدخول.

نظرت أراديا باتجاه المبنى الذي يشير له مايند ورأت من الباب

المفتوح مئات الكتب المصفوفة على الرفوف، لمعت عيناها ونسيت ما كانت ستقوم به، وتقدمت نحو المبنى بينما قال القائد الأعلى المرتبك:

_ اخرج يا شمس الشموس رع* (هامش: رع هو إلهٌ رئيسٌ في الأساطير الفرعونية، ويعتبر إله الشمس ويمتلك جسد بشرٍ ورأس صقر). وقبل أن يخرج رع رمت الساحرة بشفرةٍ حادةٍ مصنوعة من دمائها باتجاه عنق القائد الأعلى وأسقطته أرضاً.

عندها أسرع كلٌ من سبيرت ومايند وأحرقا كتاب الموتى الذي سقط من يد القائد الأعلى كي لا يخرج رع منه. تقدمت الساحرة أراديا ودخلت المكتبة بينما تبعها كلٌ من سبيرت ومايند، وباشرت الساحرة في البحث عن الكتب وهي تغني:

لمجدك يا صغيرتي

التي ترقص حول النيران حافية القدمين

وتغني أغنيةً تضيء لها الشموس والأكوان

افعلي ما يحلو لكِ ولا تخشيهم

فأنتِ وريثة دماء "أراديا"

وفي كل مرةٍ تحمل كتاباً ولا يكون هو الكتاب الذي تريده تقوم بتمزيقه، ما أن دخل مايند وسبيرت إلى مكتبة العلوم المحرمة وهما يحملان معهما الكتب التي جلباها من مكتبة الأكاشا حتى بدأ الدخان الأبيض بالتكون في وسط المكتبة بهيئةٍ بشريةٍ وهو يدير رأسه ويتفحص المكتبة وهو يضحك ويقول:

_ أخيراً استطعت الدخول إلى مكتبة العلوم المحرمة، إذاً هكذا يبدو شكلها؟ يبدو أن صنعي لمكتبة الأكاشا كان مطابقاً لها كما اعتقدت.

ثم استدار إلى مايند وقال:

_ هيا بسرعةٍ يجب أن تصعد للطابق الثاني وتضغط على عين تمثال شيفا اليسرى وعندها ستتدمر المكتبة كليّاً.

توقف مايند للحظةٍ ثم قال وهو ينظر لساحرة الدماء المنهمكة في التفتيش بين الكتب:

_ لا أستطيع تدميرها الآن، إني مدينٌ لساحرة الدماء بحياتي ويجب أن أعطيها بعض الوقت لعلها تجد الكتاب الذي تنشده.

تغيرت نبرة الدخان الأبيض وبدأ بالصراخ:

_ لا أهتم لذلك، قم بتدمير المكتبة الآن، فنحن لا نعلم ما قد يحدث في أي لحظةٍ!

عندها سمع الاثنان صوت الأمين يقول:

_ مايند، سبيرت، إنه محقٌّ، يجب تدمير المكتبة بسرعةٍ والخروج، نحن لا نعرف ما قد يحدث حقّاً، أسرعا، فأنا أريد عودتكما سالمين.

عندها قال مايند لسبيرت:

_ سأشرح لكِ الأمر لاحقاً وأخبركِ لمَ ساحرة الدماء تساعدنا، لكن الآن أحتاجك أن تذهبي وتبحثي عن كتابٍ اسمه "حيث كل خيالٍ حقيقة" بين الرفوف وأنا سأذهب للأعلى وأضع إصبعي على عين

التمثال متأهباً، في حال حدث أي أمرٍ غير متوقعٍ سأضغط على العين وأدمر هذه المكتبة اللعينة.

ثم انطلق للأعلى بينما بقيت سبيرت تبحث في الاتجاه الآخر للرفوف عن الكتاب المطلوب.

وما أن وصل مايند إلى جانب تمثال شيفا في الطابق العلوي حتى بدأ دخانٌ أسود يتشكل بداخل المكتبة ثم وقف بجانب التمثال وتكون على هيئةٍ بشرية.

عندها التفت الدخان الأبيض إليه وقال:

ـ يبدو أني أجبرتك على الخروج من جحرك أيها الدخان الأسود اللعين، ألم تقل بأنك لن تتدخل في أمور البشر بعد أن صنعت لهم مكتبة العلوم المحرمة؟

نظر الدخان الأسود إلى أخيه ثم التفت إلى مايند وقال:

ـ توقف عما تفعله يا مايند، لن يكون ذلك الأمر جيداً أبداً.

صرخ مايند بغضب:

ـ اخرس، لقد استعبدت البشرية عن طريق صناعة منظمة المصدر.

ضحك الدخان الأسود عندها وعاد للتحدث بهدوء:

ـ هل هذا ما أخبركم به ذلك الدخان الغبي الأبيض؟ لقد أنقذت البشرية من هلاكٍ حتمي، لقد كنا نراقبكم منذ أن كانت البشرية تسكن في الكهوف، وقد شهدت بناءهم لأول حضارة، وشاهدت تطوركم عبر مئات السنين، إنكم مخلوقاتٌ فاتنة، لكنكم مخلوقاتٌ متوحشةٌ

أيضاً! تقتلون بعضكم بعضاً وتدمرون الآخرين بسبب اختلافٍ بسيطٍ كاختلاف معتقداتكم وآرائكم، لقد عطفت عليكم وجئت إلى هنا من بعيدٍ لأزرع فيكم صوت الكيان الواحد، وهو صوت منظمة المصدر. لقد جلبت السلام إليكم.

رد مايند:

_ لقد قيدت حرياتنا وأخذت منا حريتنا الفكرية، لقد قتلت شغف المعرفة فينا، وجعلتنا نعيش كقوالب مسبقة الصنع.

رد الدخان الأسود:

_ شغفكم في المعرفة؟ لقد أحرقتم مكتباتٍ بأكملها في السابق وطمستم علوماً لأنها لم تناسب أفكار بعضِكم! عن أي معرفةٍ تحدثني؟ كل ما يريده البشر هو السيطرة وفرض أفكارهم على الجميع حتى لو كانت متطرفة ..... في الحقيقة لا يهمني ما تفعله حقاً، يمكنك ضغط الزر وتدمير المكتبة فأنا لا أهتم، فأنا زرعت فكري في هذا العالم والفكرة لا تموت أبداً يا مايند.

عندها صرخ الدخان الأبيض:

_ هيا يا مايند افعلها!

مد مايند يده نحو عين التمثال وقبل أن تصل يده قال الدخان الأسود:

_ أوه نسيت أن أخبرك، هل تظن أن الدخان الأبيض في صفكم حقاً؟ إنه مجرد شخصٍ فاشلٍ يحاول اللحاق بي، لم يكن يوماً جيداً في أي شيء، حتى أنه قام بنسخ المكتبة السحرية التي أنشأتها، كل

ما يريده حقاً هو التفوق عليّ في أي شيءٍ ولا يهمه حقاً أمركم ..... هل تعلم يا مايند بأنه من اقترح على القائد الأعلى أن يجعل سبيرت جاسوسةً بين أبناء الحرية؟

توقف عندها مايند ويده تلامس العين اليسرى للتمثال ثم أتبع الدخان الأسود كلامه:

_ وأعتقد أن الأمين يسمعني الآن عبر سماعته اللاسلكية، هل تعلم أيها الأمين كيف عرفت والدتك بشأن الكتاب الذي في غرفتك رغم أنك قد قمت بتخبئته جيداً؟ ..... لم تكن مجرد مصادفةٍ بل كان ذلك من فعل الدخان الأبيض أيضاً

عندها صرخ الدخان الأبيض:

_ لا تصدقه يا مايند إنه يكذب.

فقال الدخان الأسود:

_ أنا أكذب؟؟؟؟ إذاً لماذا لم تُعِد ساحرة الدماء أراديا إلى عالمها وجعلتها تبحث طوال أربعين عاماً عن كتابٍ لا توجد منه أي نسخة في هذا العالم؟ كنت تستطيع إرجاعها بلمسةٍ واحدةٍ منك، لكنك أبقيتها تعاني هنا لأنك كنت تعتقد أنها قد تتمكن يوماً من القضاء على منظمة المصدر العالمية.

بدأ الدخان الأبيض بالصراخ والشتم تارةً للدخان الأسود وتارةً أخرى يصرخ في مايند لكي يدمر المكتبة. عندها صعدت كلٌ من سبيرت وساحرة الدماء أراديا إلى الطابق العلوي وقال الدخان الأسود:

ـ تعالي يا ساحرة الدماء، فلديّ ما تبحثين عنه.

تقدمت ساحرة الدماء إلى الدخان الأسود فقام بوضع كفه الدخانية على كتفها، اختفى عندها سواد عيني الساحرة، وابتسمت لأول مرةٍ منذ أربعين عاماً وقالت:

ـ إني أرى ابنتي!

بدأ جسدها بالتفتت والتحول لذرات غبارٍ إلى أن اختفت كليّاً، ثم استدار الدخان الأسود إلى مايند وقال:

ـ هل صدقتني الآن؟ لقد كان يستطيع فعل ذلك منذ زمنٍ بعيدٍ، لكن كل ما يريده هذا الأحمق هو الخراب لأي شيءٍ يخصُني.

بقي مايند صامتاً وهو ما يزال يضع يده على عين التمثال، ثم قال:

ـ سحقاً لكما أنتما الاثنين، لا شأن لنا بمشكلاتكما وأحقادكما الشخصية، إن البشرية ليست لعبةً بين أيديكما!

ثم خاطب الأمين قائلاً:

ـ أحتاج منك شيئاً، يبدو أننا على بعد خطوةٍ واحدةٍ من تدمير مكتبة العلوم السحرية ....

وعندها قاطعه الأمين قائلاً:

ـ يبدو أننا نفكر في الأمر نفسه، أليس كذلك؟ أنتَ تريدني أن أدمر مكتبة الأكاشا أيضاً؟

أجاب مايند:

_ هل يمكنك فعل ذلك؟

ضحك الأمين بهستيريا وقال:

_ أنا أضع إصبعي على عين تمثال أطلس اليمنى، فمن المستحيل أن أبقي مكتبة ذلك اللعين بعد الذي سمعته.

عندها اختفى الدخان الأبيض سريعاً من مكتبة العلوم المحرمة وظهر بجانب الأمين في مكتبة الأكاشا وهو يصرخ:

_ لا تصدق ذلك الوغد .... هل ستقومان بتدمير جميع المعلومات في مكتبة الأكاشا؟ ألم يكن ما تريدانه هو الحرية الفكرية؟ كل ما ستقومان به الآن هو قمع أصوات سكان العالم القديم بفعلتك هذه! أنا في صفكم، تذكر ما هو هدفكم منذ البداية.

عندها نظر الأمين له نظرةً حادةً وهو يبتسم وقال:

_ سحقاً للحرية الفكرية! .... هل تعتقد أني مهتمٌ بشيءٍ كهذا؟ ستدفع ثمن موت أبي في الحال.

وعندها ضغط الاثنان مايند والأمين على عيني التمثالين، فبدأت المكتبتان تهتزان وبدأت تنفصل أجزاءً صغيرةً من الجدران، بينما كان يصرخ كلٌ من الدخانين الأبيض والأسود وهما يضعان أيديهما على رأسيهما. بدأت الكتب تطفو من الرفوف وتتحلل شيئاً فشيئاً والدخان الأبيض يصرخ:

_ عليكم اللعنة جميعاً!

ثمّ بدأ بالتلاشي شيئاً فشيئاً ومعه تتلاشى مكتبة الأكاشا السحرية كأنها لم تكن. وفي الجهة الأخرى كانت مكتبة العلوم المحرمة

تتلاشى أيضاً ويتلاشى معها الدخان الأسود الذي قال قبل اختفائه بالكامل:

_ تذكر، أنا الفكرة والفكرة لا تموت أبداً

وتلاشى أي شيءٍ كان يخص المكتبتين وكأنها لم تكونا موجودتين بتاتاً! حتى السماعات التي كانا يضعانهما في آذانهما قد اختفت، وجميع الكتب التي كانت في حقيبتيهما وأي شيءٍ تم إخراجه منهما أيضاً اختفى! نظر مايند لسبيرت وقال:

_ يبدو أننا نجحنا!

أسرعت سبيرت لإسناد مايند المصاب في قدمه وخرجا وقد قاربت الشمس على الشروق، مضيا إلى أن وصلا إلى المبنى الذي كان يضم مكتبة الأكاشا سابقاً، ليجدا الأمين يجلس بانتظارهما وهو يربت على القطة الكمي وقال بابتسامةٍ فور رؤيتهما:

_ لقد نجحنا!

توقف الاثنان بجانب الأمين وقالت سبيرت:

_ إذاً ماذا الآن؟

فردّ مايند عليها:

_ الآن نثق بأن البشر سيقومون بفعل الشيء الصحيح يا سبيرت، فنحن كائناتٌ تستطيع الصمود أمام أي شيءٍ!

فقال الأمين:

_ ربما انتهى الأمر بالنسبة لكما، لكنه لم ينتهِ بالنسبة لي، فإن فكر

أبناء الحرية هو إرثيَ من أبي وسأحافظ على إرثه دائماً.

عندها قال مايند:

ـ يبدو أنه الوداع إذاً!

وغادر كلٌ من سبيرت ومايند وتبعتهما القطة الكمي.

الفصل العشرون

(الدخان الأحمر)

استيقظ مايند مذعوراً وهو يلهث ويتصبب جسده عرقاً، أخذ نفساً عميقاً ونظر بجانبه ليجد سبيرت ما زالت نائمة، أبعد غطاء السرير عن جسده وذهب للمطبخ، كانا في ذلك الكوخ الصغير والنائي. صنع له كوباً من القهوة بينما كانت الكمي تمسح فروها بأقدامه، خرج إلى الشرفة لينظر إلى الحقول الشاسعة التي تمتدُ أمامه وهو يحتسي قهوته من الكوب. كانت الشمس قد أشرقت لتوها وصبغت بضوئها لوحةً فنيةً تعكس منظر المروج الخضراء الشاسعة الجميلة. فكر مايند في ذلك الحلم المزعج الذي يراوده منذ أشهرٍ، ماذا قد يعني؟ سرح في خياله حتى أحس بذراعي سبيرت تطوقانه من خلفه.

_ لقد استيقظت باكراً يا سبيرت!

_ نعم، عندما لم أجدك بجانبي قمت للاطمئنان عليك.

ابتسم مايند وظل صامتاً، لكن سبيرت لاحظت عدم ارتياحه فقالت:

_ هل هو ذلك الحلم مجدداً؟

_ نعم يا سبيرت إنه الحلم اللعين نفسه! لا أعلم ما الذي يحدث؟ لكن في كل مرةٍ يظهر لي ذلك الدخان الأحمر وهو يصرخ: "أحرقوا جميع الكتب!" ويجعلني أستيقظ فزعاً! على كل حالٍ لا تقلقي، فالأغلب أن تلك الكوابيس تأتي بسبب ما عانيناه في الفترة الماضية! وأنا واثقٌ بأنها ستتوقف عن التكرار مع الوقت.

أمسكت سبيرت بيد مايند وقالت:

_ لقد قررنا ترك كل شيءٍ خلفنا، لقد صنعنا المستحيل وحان

الوقت لنرتاح ونترك الأمر للأمين، فبحسب ما سمعته منه في الأسبوع الماضي فإن أبناء الحرية قد سيطروا على نظام المعرفة الرقمي سيطرةً كاملة، ورغم الفوضى التي تعتري العالم الآن إلّا أنه واثقٌ بأنه سيستطيع توحيد الأمم تحت راية الحرية الفكرية.

ثم أتبعت وقالت بضحكةٍ ساخرة:

_ إنه يريدنا أن نعود للعمل معه.

ابتسم مايند عندها وقال:

_ لا أعتقد ذلك، فنحن أسياد قدرنا.

انتهت